

سلسلة كتب الإسلام ووطن
الكتاب الخامس والسبعون بعد المائة

اعترافات هارب من سجون الوفاية

الجزء الثالث

د. نور الدين أبو حيدة

جميع حقوق الطبع والنشر والتصوير والاقتباس
والترجمة والنقل محفوظة لمشيخة الطريقة العزمية

الطبعة الأولى

مُحَرَّمٌ ١٤٣٦ هـ - نوفمبر ٢٠١٤ م

اعترافات هارب من سجون الوهابية	عنوان الكتاب
دكتور نور الدين أبو لحية	المؤلف
دار الكتاب الصوفى	الناشر
١١٤ ش مجلس الشعب - السيدة زينب	عنوان الناشر
٠٢/٢٣٩٠١٠٣٠	رقم التليفون

معاوية.. والصحة المضخمة

في اليوم الرابع عشر من زيارة صاحبي الوهابي، ذهبت إلى المسجد الجامع لأداء صلاة الجمعة، معاهدًا الله في طريقي إلى المسجد أن لا أنشغل عن الخطبة بأي شاغل، وأن أفذ كل ما فيها حرفًا حرفًا وكلمة كلمة لأتحقق في ذلك بما وصف الله به المؤمنين حين قال: ﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ (الزمر: ١٨).

لكني بعد أن طبقت المعاهدة الأولى، فاستمعت إلى حروف الخطبة وكلماتها، ولم يفتني منها حرف واحد ولا كلمة واحدة، احترت في المعاهدة الثانية إذ إن تنفيذها يحتاج مني إلى جهد كبير، وإلى معاصي كثيرة، وإلى نفس ممتلئة حقًا، وقلب ممتلئ ضغينة، ويد يسهل عليها أن تبتطش بما نشاء وكيف نشاء، وبطن يأكل ما هب ودب غير مراع حلاً ولا حرمة، ولم يكن من السهل علي أن

أحصل كل هذه الوسائل.

لقد بدأ الخطيب خطبته حول صحابة النبي ﷺ وفضلهم وضرورة الاقتداء بهم.. وكنت أصغي إلى ذلك متأثراً، وفي خيالي بلال وعمار وأبو ذر والمقداد وسلمان وغيرهم من الصادقين السابقين الذين تضحخت الدنيا بعطر جمال سيرهم، وحسن أخلاقهم، وعظيم تدينهم، وعظم صحبتهم.

لكن الخطيب صاحب اللحية الطويلة والقميص القصير راح يفسد ما بدأه، ويطبق مواصفات الجمال على الدمامة، ومواصفات التدين على النفاق، ومواصفات الصحبة الراقية على الصحبة المزيفة..

فبعد أن ملأ عقول الناس وقلوبهم بمحبة الصحابة، راح ينتقل من الجملة إلى التفصيل ليضرب المثال بمعاوية بن أبي سفيان.. واصفاً له بأوصاف تتهدأ لها الجبال، ضامناً له الجنة، وضامناً لمن تكلم فيه العذاب،

بل طالبًا من ولي الأمر أن يسلم سيف قهره على من
تكلم في خال المؤمنين وكاتب الوحي وأول ملك في
الإسلام، وأول من ركب بحر الروم للغزو، وأول من
اتخذ السيف لتأديب الناس بدلاً عن العصي، وأول من
جلس في خطبة منبرية لترهل جسمه وعجزه عن القيام
طويلاً، وأول من أقام على رأسه حرساً، وأول من قيدت
بين يديه النجائب، وأول من اتخذ الخصيان، وأول من قتل
مسلمًا صبراً، وأول من بلغ درجات المنبر خمس عشرة
مرفأة، وأول من أخذ البيعة لابنه، وكان يقول أنا أول
الملوك^(١).

وهذا ما جعلني محتاراً في كيفية تقليد معاوية لأنني
أحتاج إلى محاربة رجل في طهر عليّ وصفائه وسلامه
وإيمانه.. وأحتاج أن يكون لي ابن كيزيد أعلمه كيف

(١) نرى الكثير من الخطباء البلهاء ينقلون هذه الأوليات ويعتبرونها من مناقبه غافلين عن المعاني التي تنطوي عليها.

يرتاد الحانات ويلعب القردة.. وأحتاج إلى أن أقوم
بانقلاب على دولة العدل مستغلاً أي قميص من
القمصان.. وأحتاج أن يكون لي بطن كبطنه لآكل فلا
أشبع، وأجمع فلا أمل..

كانت هذه الأشياء جميعاً متطلبات أساسية لتقليد هذا
الصحابي العظيم الذي نسي الناس بسببه بلالاً وعماراً
وأبا ذر والمقداد أولئك الذين أمر رسول الله ﷺ بحبهم.
ذهبت بذلك الهم إلى بيتي، لعلي أجد عند صاحبي
الوهابي التائب ما ينفس عن كربتي، لكنني ما إن طرقت
الباب وفتح لي حتى فوجئت بأن الفاتح رجل بطين تنطبق
عليه جميع أوصاف معاوية التي ملت أسمعنا من
سماعها.

سألته مستغرباً: من أنت؟ وكيف دخلت بيتي؟
فهقه بصوت عال، وقال: منذ متى صار بيتك.. إن أي
محل أكون فيه يصبح ملكاً لي.. ألم تعلم أنني ملك الإسلام

الأول؟.

قلت: ملك الإسلام الأول - كما ذكر لنا خطيب الجمعة - هو معاوية بن أبي سفيان.

غضب الرجل، وقال: أتقولها هكذا حافية.. ترض عنه وعن أبيه وإلا جمعت عليك أهل حارتك.. ألا تعلم أنه صحابي جليل.. ألا تعلم أن الغبار الذي أصابه مع محمد أفضل من جميع الغبار الذي أصاب أي مجاهد في أي زمن؟.

قلت: اعذرني فأنا لا أعتبر الترضي سنة ولا مشروعاً.. فنحن لم نؤمر به في كتاب ولا سنة.. وكل ما ورد فيه اعتباره شعاراً لدولة من الدول، وجماعة من الجماعات، وأنا لا تعنيني الشعارات ولا الجماعات.. غضب، وقال: أنت من أتباع أبي تراب إذن؟.

قلت: ومن أبو تراب؟.

قال: ذلك الرجل الذي لم يهنأ لي بال حتى ووري في

الثرى.. لقد كان كابوساً ثقيلاً جثم على حياتي فترة من الزمن إلى أن قيض الله بعض الأغبياء لينوب عني في قتله.

قلت: من أنت؟ وما علاقتك بعليّ؟.

قال: أنا خصم عليّ الأول.. أنا أول ملك في الإسلام.. أنا معاوية.

قلت: ما أكذبك من رجل.. إن معاوية أكله تراب الأرض منذ زمن طويل.

قال: وقد أحياني قومك.. إنهم يصرخون في كل حين بمناقبي.. وقد جعلوني رمزاً للإسلام، وناطقاً باسمه.. فأنا الآن هو الإسلام.. فمن تعرض لي تعرض للإسلام نفسه، إن إسلامي يستطيع أن يجمع بين العقل والقلب والنفس وكل الطاقات.. يستطيع أن يجعلك ثرياً في منتهى الثراء تكتنز لحمًا وشحمًا، ولو مات غيرك جوعًا وفقراً.. ألا تعلم ما حصل بيني وبين أبي ذر؟.

قلت: أعلم ذلك.. وقد نفي أبو ذر بسببك إلى صحراء
الربذة ليموت شهيداً فيها.

ابتسم، وقال: لا يهمني أن يكون قد مات شهيداً أو
مات جيفة.. المهم عندي أن قومك نسوا أبا ذر وذكروني،
ومقتوا أبا ذر ومجدوني.. هل رأيت أحداً من الناس
يعرف أبا ذر؟.

لم أجد ما أقول، فأبو ذر ذلك الذي قال فيه رسول الله
ﷺ: (ما أقلت الغبراء، ولا أظلت الخضراء.. أصدق
لهجة من أبي ذر)^(١)، وقال: (إن الله أمرني بحب أربعة
وأخبرني أنه يحبهم، قيل: يا رسول الله سمهم لنا قال:
عليٌّ منهم (يقول ذلك ثلاثاً) وأبو ذر والمقداد وسلمان
أمرني بحبهم وأخبرني أنه يحبهم)^(٢)، لا يكاد يعرفه أحد..
فهقه معاوية في وجهي، وهو يقول: لا يعرفونه فقط،

(١) رواه أحمد.

(٢) رواه الترمذي.

بل إنهم يسبونهُ أيضاً.. ألا ترى أنهم يعتبرونه تلميذاً غيباً
لذلك الذي يسمونه ابن السوداء؟.

قلت: بلى.. أراهم يذكرون أن ابن السوداء أو من
يطلقون عليه (عبد الله بن سبأ) لقي أبا ذر في الشام
وأوحى إليه بمذهب القناعة والزهد، ومواساة الفقراء،
ووجوب إنفاق المال الزائد عن الحاجة، وجعله يعيب
معاوية، فأخذه عبادة بن الصامت إلى معاوية، وقال له:
هذا والله الذي بعث إليك أبا ذر فأخرج معاوية أبا ذر من
الشام^(١).

بل حاول أحمد أمين أن يوجد شبهاً بين رأي أبي ذر
ورأي مزدك الفارسي، وقال بأن وجه الشبه جاء من أن
ابن سبأ كان في اليمن، وطوّف في العراق، وكان الفرس
في اليمن والعراق قبل الإسلام، فمن المحتمل القريب أن
يكون قد تلقى هذه الفكرة من مزدكية العراق، واعتنقها

(١) فجر الإسلام، ص ٢١٦.

أبو ذر حسن النية في اعتقادها^(١).

فهقه بصوت عال، وقال: حتى أحمد أمين استطاع
أبنائي الوهابية أن يجروه إلى صفوفهم.. ألا ترى مبلغ
قوتي؟.

قلت: بلى.. لقد استطعت أن تنسي الناس كبار السابقين
لتحل بدلهم.

قال: ليس ذلك فقط.. لقد استطعت فوق ذلك أن أضع
بدلهم قوماً آخرين ممثلين قسوة وغلظة وجفاء، لأقول
للعالم عبر أبنائي البررة من الوهابية: إن هؤلاء هم تلاميذ
محمد وأصحابه.. هل تعرف بسر ابن أرطأة؟.

قلت: أسمع باسمه كثيراً على المنابر.. وهم يترضون
عليه صباح مساء، ويلعنون أعداءه صباح مساء مع أن
المحدثين والمؤرخين يذكرون عنه ما تنهد له الجبال، فقد
قال فيه الشوكاني: (وَلَا يَرْتَابُ مُنْصِفٌ أَنَّ الرَّجُلَ لَيْسَ

(١) فجر الإسلام، ص ١١٠.

بأهل الرواية. وقد فعل في الإسلام أفاعيل لا تصدُرُ عنَّ
في قلبه مثقالُ حبةٍ من إيمانٍ كما تضمَّنت ذلك كُتُبُ
التاريخِ المُعتبرةِ^(١).

وقال فيه الطبراني: (فلما ملك معاوية بعث رجلاً من
قريش يقال له بسر بن أرطأة وقال له : لقد ضمنت لك
الناحية فأخرج بجيشك، فإذا خلفت أفواه الشام فضع سيفك
فاقتل من أبي بيعتي حتى تصير إلى المدينة، ثم ادخل
المدينة فاقتل من أبي بيعتي، ثم اخرج إلى حضرموت
فاقتل من أبي بيعتي)^(٢).

وقال فيه القرطبي: (بسر هذا يُقال ولد في زمن النبيِّ
ﷺ، وكانت له أخبارٌ سوء في جانب عليٍّ وأصحابه ،
وهو الذي ذبح طفلين لعبدِ الله بن العباس ففقدت أمهما
عقلها فهامت على وجهها، فدعا عليٌّ عليه السلام ﷺ أن يُطيل

(١) نيل الأوطار للشوكاني ج ٧ ص ٣١٣.

(٢) المعجم الكبير للطبراني ج ٢٢ ص ٤٨.

اللَّهُ عُمْرَهُ وَيَذْهَبَ عَقْلَهُ، فَكَانَ كَذَلِكَ. قَالَ يَحْيَى بْنُ مَعِينٍ:
كَانَ بُسْرُ ابْنِ أَرْطَاةَ رَجُلٌ سُوءٌ^(١).

ابتسم، وقال: لا يهمني ما يقوله هؤلاء.. يهمني فقط
ما يقوله الوهابية المعاصرون لكم.. إنهم يعتبرونه
صحابياً جليلاً.. وهذا يكفي لأن يهيلوا عليه من القداسة ما
يجعله قدوة لكل إرهابي سفاح ظالم..

لقد كان بسر من تلاميذي الأوفياء.. وقد استتسخت
منه في عصركم الكثير.. كل الذين تراهم يمثلون حقداً
وإرهاباً هم نسخ من ذلك الصحابي الجليل الوفي بسر بن
أرطأة.. لقد كان شخصية دموية لم ترحم شيخاً ولا امرأة
ولا طفلاً.

قلت: للأسف أسمع الكثير يذكره بخير.. ويعتبره من
أصحاب سيدنا محمد ﷺ وتلاميذه الأوفياء.

(١) تفسير القرطبي ج ٦ ص ١٧١.

قال: وهكذا استطعت أن أحول الإسلام إلى دين للإرهاب.. فمن تخرج فيه مثل بسر لا يمكن إلا أن يكون إرهابياً.

ثم قال: لقد أثمرت الأحقاد التي غرسها أبي وأمي في قلبي كل تلك المكائد التي حولت بها الإسلام من دين الله إلى دين البشر.. ومن دين السلام إلى دين الإرهاب.. ومن دين محمد إلى دين معاوية وابن تيمية وابن عبد الوهاب وابن باز والقرضاوي والعرعور..

قلت: وما أدراك بهؤلاء.. وقد ولدت في زمن غير زمنهم؟

قال: إنهم أبنائي البررة، وتلاميذي الأوفياء.. لقد استطعت بدهائي ومكري أن أتدخل في الفقه والتفسير والحديث وكل مصادر الإسلام لأوجهها بحسب ما أرى.. قلت: لم أفهم.. فأنا أراك ملكاً، ولا أراك عالماً.

قال: نعم أنا لست عالمًا.. ولكني حددت للعلماء
المناهج التي يأخذون منها والرجال الذين يأخذون عنهم..
أنا الذي أذنت للتجسيم والتنشيبه والإسرائيليات والخرافات
والأساطير أن تقتحم السنة، ويفسر على أساسها القرآن..
أنا الذي أذنت لعقائد الجبر والتسلط والاستبداد أن
تدخل في أذهان المسلمين لتصور لهم ربهم في صورة
الجبار القهار الذي يتلذذ بتعذيب عباده.
أنا الذي صورت تلك الصور المشوهة التي يتناقلها
محدثوكم، وعندهم يأخذها المستشرقون والمستغربون
والملاحدون ليرسموا الرسوم الكاريكاتورية، ويخرجوا
الأفلام المسيئة، ويكتبوا الآيات الشيطانية..
أنا خلف كل ذلك..
لست أدري كيف امتلأت غضبًا وحقداً وصحت: ويل
لك.. ويل لك..

ثم مددت يدي بقوة لأبطش به.. فلم أجد شيئاً، بل
وجدتني في بيتي، وأمام صاحبي الوهابي التائب، وهو
يبتسم، وهو يقول: هل أدركت السر الذي من أجله
يحرص الوهابية على معاوية.. إنه أبوهم وأستاذهم.. ولا
يمكن للأحقاد والضغائن والنفوس المريضة أن تجد
راحتها إلا في صحبتته.

قلت: لم غفلوا عن عمار وبلال وأبي أيوب وغيرهم..
ولم يظهر لهم إلا معاوية؟.

قال: لأن أولئك الأصحاب الأتقياء الأنقياء الطاهرين
تكلف صحبتهم الكثير.. بينما لا تكلف صحبة معاوية
وبسر بن أرطأة والمغيرة بن شعبة شيئاً، بل إنها تتسجم
مع النفوس المريضة انسجاماً تاماً.
قلت: لم أفهم.

قال: ألا تعرف أن الطيور على أشكالها تقع؟

قلت: أجل..

قال: فقس ذلك على التاريخ والجغرافيا والواقع لتتضح لك الحقائق.. ففي كل عصر تعود صفين ويعود معها معاوية وأصحابه وعليُّ وأصحابه؛ ليختار كل امرئ ما هو أميل إلى نفسه؛ ليميز الله الخبيث من الطيب.

القرضاوي .. وإسلام الفتنة

في اليوم الخامس عشر من زيارة صاحبي الوهابي دعيت إلى محاضرة يلقيها - كما ذكر لي صاحب الدعوة - رجل من كبار كبار العلماء، حتى أنه الوحيد الذي اختير له، أو اختار لنفسه لقب (رئيس اتحاد علماء المسلمين)، بل إن البعض لا يكتفي بهذا، بل يدعي أنه بابا الإسلام، أو أول بابا للإسلام.

ذهبت ممثلًا بهذه الألقاب إلى محل الدعوة، لأجد الشخص الذي يعرفه الجميع بلسانه الفصيح، وبيانه الأسر، وتردده بين أودية الشعر والنثر والبلاغة ما يبهر الأسماع ويجذب الأفئدة.

وكان حديثه في جميع محاضراته عن الإسلام.. وأنه الحل لكل المشاكل التي ينوء بها ظهر الأمة.. وعندما رأى في وجوه المستمعين قناعة بما يقول.. ومن يجرؤ على عدم الاقتناع بأن الإسلام هو الحل.. أخذ يسأل قائلًا:

لكن ما هو الإسلام الذي هو الحل؟.

وهنا لاحظت على الحاضرين البسطاء علامات الدهشة، فالإسلام في تصورهم واحد يجمع الأمة جميعًا، وهو الذي تكفل بتحديد القرآن الكريم، وتكفلت ببيانه السنة المطهرة، ثم تكفلت الأمة بجميع مدارسها ومؤسساتها لتشرحه، وتطبقه على أرض الواقع بحسب قراءتها له.

لكن الشيخ بابا الإسلام ورئيس العلماء لم يقبل هذا، بل راح يطرح المدارس الإسلامية مدرسة مدرسة متهمًا لها بأنه ليس لديها الحل.. فلا حل عند الصوفية، ولا حل عند الشيعة، ولا حل عند المتكلمين، ولا حل عند الفقهاء التقليديين، ولا حل عند فلاسفة المسلمين، ولا حل عند خاصة المسلمين، ولا عند عامتهم ..

وهنا نهض أحد أساتذة قريتنا البسطاء، وكان اسمه الدكتور فؤاد زكريا، وقال: أنا أرى من خلال طرحك أن

الإسلام ليس حلاً.. بل إنه مشكلة المشاكل.. لأنه
سيصطدم مع الكل.. ويستحيل على من يصطدم ويصارع
أن يؤسس مجتمعاً أو دولة، بل يستحيل عليه أن يؤسس
نفساً مطمئنة تعترف بالآخر وتسلم له

غضب البابا غضباً شديداً، وقال: لا شك أنك العلماني
الذي حدثوني عنه.. وحذروني منه.. أنت الأبق الذي
رضع من الغرب سمومه.. أنت..

نسي الرجل ما كان فيه من الحديث ليتخذ من شخص
محاوره هدفاً يرمي إليه سهامه، التي لم تصبه وحده فقط،
بل أصابتنا جميعاً، فقد كان الرجل ضعيفاً عندنا، وكان من
كرم ضيافتنا له أن لا يمس بسوء.. لكننا مع ذلك كتمنا
أنفاسنا، ورحنا نحاول أن نغير مجرى الحديث.

صدام حسين شهيد:

فسأله بعضنا قائلاً: لقد أفتى سماحتكم بأن صدام حسين
ذلك الطاغية الآثم الذي أباد البلاد والعباد، وامتد شره

لحيرانه يقاتلهم ويدمر بلادهم.. بأنه شهيد، وقد خطبت
خطبة طويلة في مدحه والتناء عليه.

غضب الشيخ للسؤال بنفس غضبه الأول، وقال:
وكيف لا يكون شهيداً، وهو الذي رفض تلك الحرب
الصليبية التي شنت على بلاده.. وكان جزاؤه أن قتل
مظلوماً من طرف أولئك المجوس ..

قال السائل: ولكن.. أين ظلمه وقتله وما فعله بإيران
والكويت؟.

قال الشيخ: أما ما فعله بالكويت.. فنعم، وقد أفنيت
بضرورة مواجهته وحربه ليكف شره عن إخواننا من أهل
السنة الكويتيين.. أما إيران، فقد كنت أراه في مواجهته
لها قائماً على ثغر الأمة ليحميها من ذلك التوسع الصفوي
المجوسي الظالم المشوه للإسلام وعدالة الإسلام وروح
الإسلام.. و... الإسلام، و... الإسلام.

قال السائل: ولكن.. لِمَ لَمْ تعتبر ما شن عليه من حرب

بسبب الكويت حرباً صليبية؟.

جواز الاستعانة بالأمريكان:

قال الشيخ: لأنني أفنتيت فتوى صريحة بجواز الاستعانة بالأمريكان لصد العدوان.. وأفنتيت مثلها لإخواننا في ليبيا لمواجهة طاغوتهم القذافي، وأنا أفنتي مثلها لإخواننا في سورية لمواجهة العلويين، ولدي الكثير من الفتاوى الجاهزة لمن شاء من إخواننا في الجزائر، والمغرب والسودان.. وكل البلاد.. كل من يريد فتوى فسأفنتيه لأن الإسلام - الذي هو الحل لكل مشاكل البشرية - لا يقبل الطغيان، ولذلك لنا أن نستعين بالأمريكان والألمان وكل الشجعان للتخلص من الطغيان أين كان وكيف كان.

قال السائل: لقد ذكر رئيس ليبيا قبل وفاته أن بلاده

تتعرض لحرب صليبية.

قال الشيخ: خسى الرجل وذل وذل.. كيف تكون

حرباً صليبية من إخوان لنا في الإنسانية قدموا إلى بلادهم

مستسهلين كل صعب ليكنوا للدين، وليحققوا لنا ما لم نستطع تحقيقه بالدعوة والتبليغ والإرشاد ..

قال السائل: فأنت تعتبر أمريكا ومن حالفها أصدقاء.

قال الشيخ: أجل.. فلولاهم لم تتحقق أحلامنا وشعاراتنا ومبادئنا التي سُبِّحًا واعتقلنا وعذبنا وأُهِنَّا بسببها.. أجل.. هذه هي الحقيقة التي ينبغي أن يعلمها المسلمون.. وعلى ضوءها حذرت المسلمين من أن يتعرضوا لأمريكا بسبب الفيلم المسيء، فأمريكا بريئة، والجريمة مقتصرة على صاحب الفيلم ومخرجه فقط.

قال السائل: ولكنك أفتيت قبل ذلك بمقاطعة الدانمرك

جميعًا بسبب الرسوم، والرسوم أقل خطرًا من الفيلم.

قال الشيخ: أنت لا تفهم عالم الفتوى.. إنه عالم صعب فيه حسابات كثيرة، لا توجد في كتب الفقه فقط.. فالمفتي يحتاج أن يكون سياسيًا براغماتيًا داهية وإلا فلن يتحقق الإسلام الحل.

قال السائل: فما الفرق بين الإسلام وغيره من النظم
إذن ما دام ينتهج هذا المنهج؟.

الأمويون هم صفحة الإسلام الناصعة:

غضب الشيخ، وقال: الإسلام.. تسألني عن الإسلام..
الإسلام هو الحل لكل مشكلة.. إنه ذلك الدين الذي
استطاع أن يحقق أعظم حضارة في التاريخ.. ألا تعرف
الحضارة الأموية العادلة التي نعمت البشرية بظلالها
وفاعت إلى فيئها؟.

قال السائل: أنا أعرف أن في الأمويين جوراً عظيماً،
فهم الذين حاربوا بيت النبوة وحاربوا المسلمين وفعلوا
وفعلوا.

غضب الشيخ، وقال: إن لم يمثل الأمويون الإسلام..
فمن يمثله؟.. الأمويون هم الصفحة الناصعة البيضاء في
تاريخ الإسلام.. في عهدهم لم يكن هناك نفوذ إلا
للإسلام.. لم يكن هناك اقتصاد إلا للإسلام.. لم تكن هناك

عدالة إلا للإسلام، لم يكن هناك.. إلا للإسلام، لم يكن هناك.. إلا للإسلام، لم يكن هناك.. إلا للإسلام.

وظل يكررها إلى أن أتى المساء، فعدت إلى بيتي متعبًا مرهقًا ممتلئًا بالشبهات إلى درجة أن صحت من حيث لا أشعر: هل يمكن أن يكون الإسلام هو الحل؟.

فجأة وجدت بجانب صاحبي الوهابي، وهو يربت على كتفي، ويقول: نعم الإسلام هو الحل.. ولكن ليس إسلامهم الذي وضعه لهم معاوية، وأحفاد معاوية.. ولا الإسلام الذي نظر له ابن تيمية أو ابن عبد الوهاب.. بل إنه الإسلام الذي أنزله رب العالمين على القلوب الطاهرة والأوعية النقية والصدور المنشرفة.. إنه إسلام السلم لا العنف.. وإسلام المحبة لا البغض، وإسلام العلم لا الجهل، هذا هو الإسلام الوحيد الذي جعله الله حلًّا لهموم النفس والمجتمع.

قلت: ليتك حضرت معي لتسمع ما قيل في المحاضرة

التي ألقاها كما قيل لي أكبر رأس في العالم.

أكبر مغرور في العالم:

ضحك، وقال: بل ألقاها أكبر مغرور في العالم.. أنا
أعرف ذلك الرجل جيدًا.. أعرفه منذ كان يصيح في كل
محفل: لماذا لا يكون للمسلمين بابا كما للمسيحيين بابا؟!..
ويقول: إن هذا البابا يستطيع أن يفني الفتاوى ويصدر
البيانات التي تقف مع قضايا المسلمين وتناصرهم وتوحد
صفوفهم وتحقق دماءهم.. ويقول كلامًا كثيرًا غير هذا
بثته وسائل الإعلام المختلفة..

وظلت كلماته تتردد في الأثير أحيانًا وأمني إلى أن
طرقت سمع بعض الأمراء أو بعض الساسة أو بعض
رجال الأعمال أو بعض صناع الفتن، فراح يتأمل في
الفكرة، ويبحث عن المؤهل ليكون بابا المسلمين الأول في
التاريخ، فلم يجد إلا صاحب الأمنية نفسه.

قلت: ولم اختاره دون غيره.. ففي المسلمين علماء

كثيرون لا يقلون عنه، بل إنهم يفوقونه في الكثير من المعارف.. في العلوم الثقيلة والعقلية وغيرها؟.

قال: ولكنه يفوقهم بصوته.. فهو - كما تعلم - رجل جمهوري الصوت يستطيع أن يسمع بصوته العالم أجمع.. وهو - فوق ذلك - رجل متسرع ما إن تخطر على باله الفكرة حتى تذهب إلى صوته الجمهوري ليسمعها للعالم من غير تريث ولا بحث ولا نظر، ربما يخاف أن تعاجله المنية قبل أن يبثها، وربما يخاف أن يسبقه إليها غيره، فنفتوت عليه فرصه السبق الصحفي.. وهو رجل شديد حديد اكتسب من سلفه ابن تيمية هذه الشدة والحدة فهو يوجهها إلى خصومه كما كان الحجاج يفعل إلا أن سيف الحجاج من حديد، وسيف هذا الرجل من الكلمات، وقد تفعل الكلمات ما لا تفعله الصوارم والأسنة.. وهو فوق ذلك رجل مجنون بعظمة بدأت معه منذ صغره الباكر عندما أهله قومه لأن يخطب فيهم ولما ينبت عذاره.. وقد

بقي معه هذا الشعور بكونه الأفضل والأعلم وصاحب الحق المطلق الذي لا ينبغي أن يجادل.
قلت: ولكن مع ذلك فقد رضي المسلمون وانفقوا عليه وما كانت الأمة لتتقق على ضلالة؟.

القرضاوى والفتنة الشيعية:

ضحك، وقال: هذا هو الوهم الذي دعاه إلى اعتبار نفسه رئيس العلماء.. وهو الذي جرّه إلى ما جرّه إليه من تزعم الفتنة في العالم..
قلت: الفتنة؟.

قال: أجل.. لقد كان من أول ما فعله بعد حملته لهذا اللقب العظيم هو أنه ذهب إلى طائفة من الناس يقال لها (الشيعية)، وهي طائفة مسالمة ممتلئة ألمًا وحرزًا على ما أصاب ذرية رسول الله، وهي طائفة كذلك نشيطة قوية تريد أن تمهد لمخلص موعود يملأ الأرض عدلاً بعد أن تمتلئ جوراً.. وكانت هذه الطائفة تعيش في سلام مع كل

مذاهب الناس وطوائفهم وأديانهم.. وكانت تنتشر كما ينتشر غيرها بالإقناع والحجة والدليل.. لكن هذا البابا الجديد لم يرضه هذا الانتشار ولا ذلك النشاط ولا تلك الوحدة التي تمتلئ بها قلوب المسلمين فراح ينشر بيانات التحريض والتبذيع والتضليل لتنتشأ عنها فرقة وفتنة وتصدع يمس بنيان الأمة جميعًا.

القرضاوى ينشر الفوضى الخلاقية:

لم يكتف هذا الرأس بهذا.. بل راح يمارس السياسة من أوسع أبوابها أو من أرذلها. قلت: لم أعلم أنه ترشح لأي انتخابات، ولا أنه تزعم أي حزب؟.

قال: هو لا يرضى بالنزr اليسير.. فلا يكفيه أن يرشح في مدينة أو يحكم حزبًا.. وكيف يرضى بذلك وهو يطمح إلى أن يصير رئيس المسلمين كما هو رئيس علمائهم.

قلت: لم أعلم بهذا الطموح.. لكن ما هي الطاقة التي يستطيع من خلالها أن يصل إلى هذه المرتبة، وهو شيخ كبير لا سلاح له ولا طاقة.

قال: ألا تعلم أن له لساناً وقلماً وكتاباً وأبواقاً وإمعات كثيرين يسبّحون لكل ما يقول؟.

قلت: وما علاقة هذا بحكم المسلمين؟.

قال: هناك شيء لا تعرفه يسمونه الفوضى الخلاقة.. وهؤلاء وأذنابهم يسعون بكل الوسائل إلى نشر الفوضى التي يستطيعون من خلالها أن يبرهنوا أن الإسلام هو الحل.. ذلك أنه ليس لديهم أي مشروع يقدمونه للناس سوى الشعارات، ولذلك لا يمكن أن يستمر بهم الحال من غير الفوضى والفتنة وإلا فضحوا.

سكت قليلاً، ثم قال: سأضرب لك مثلاً على ذلك.. ألا تعرف ما حصل في ليبيا؟.

قلت: بلى.. فقد حصل فيها ما حصل في سائر الوطن

العربي من مطالبات بالإصلاح والتغيير..

قال: وقد بدأت الأحداث - كما تعلم - سلمية في منطقة من المناطق، ثم تحولت إلى عسكرية يواجه فيها المسلم أخاه، ويدمر بلده.

قلت: أجل.. وقد كان من الأخطاء الكبرى تحولها إلى العنف، فالعنف لا يولد إلا العنف.

قال: لقد كان في إمكان البابا رئيس العلماء حينها أن يسرع إلى محل الفتنة وهي تشتعل في ليبيا ليطفئها بكلمات من الحكمة، فيطالب الرئيس بالإصلاحات ويطالب الرعية بالسلام والحوار..

قلت: أجل.. كان في إمكانه أن يفعل ذلك خاصة وأنه يمتلك أكبر مؤسسة علمية إسلامية.

قال: لكنه لم يفعل فقد كان بطبعه ثائراً متسرعاً مغروراً.. ولهذا لم يكلف نفسه إلا أن ينضم إلى معسكر الثوار، ثم يفتي على المأ بهدر دم الزعيم.. وكان يعلم

بأن هذه الفتوى لن تزيد نار الزعيم إلا اشتعالاً.. فما الذي
تنتظر من شخص تهدر دمه؟!..

لم يكتف بهذا.. بل راح يفتي بجواز الاستعانة بالذين
كان يصفهم بالأمس القريب أعداء وغرباء.. راح
يستجديهم.. وينفي عنهم صفة الصليبية التي ظل طول
عمره يصرخ بها..

ورأى بأم عينيه كيف كانت الدماء تسيل.. وكيف
كانت الخيرات تتهب.. وكيف كان الشعب يقتل بعضه
بعضاً.. وكيف كانت الطائرات ترمي بالقنابل بمختلف
أنواعها.. ولم يحرك كل ذلك فيه ساكناً، فقد كان له من
الحدة والشدة ما يحميه من آثار الانفعالات العاطفية.

قلت: كل ما تذكره من هذا صحيح.. ولكن مع ذلك فقد
حصل النصر أخيراً.

غضب، وقال: أي نصر ينشأ من الفتنة والأحقاد
والصراع.. لقد خرب لبيبا خربه الله.. ولن ينجو أهلها

من الفتنة إلا بعد أن يصرخوا بسقوطه كما صرخوا
بسقوط زعيمهم.

قلت: المهم أن قضية ليبيا انتهت.. وهذا الرجل.
غضب، وقال: وهل يهدأ الشيطان؟.. إن هذا الرجل
لن يهدأ إلا في قبره إن قدر له أن يهدأ فيه.. ألا ترى ما
يفعله في سوريا من قتل وتدمير؟.

القرضاوى والفتنة فى سوريا:

قلت: وما علاقته بسوريا هي الأخرى؟.
قال: بعد أن حصل له في ليبيا ما توهمه من نصر..
وبعد أن رأى بأمر عينيه كيف تحولت بادية ليبيا الطيبة
إلى خراب ودمار راح يبحث عن دور البطل في فيلم
أكشن آخر، فاختر أرضاً ممثلة بالبركات هي سوريا.
هو يعلم أن في سوريا كما في سائر بلاد الشام علماء
فحولاً لا يقلون عنه باعاً في العلم والاجتهاد.. ويعلم أنهم
أدرى ببلدهم وبمصالحهم.. ويعلم أن في سوريا نهضة

اقتصادية وعلمية راقية.. ويعلم موافق سورية العدائية لكل أعداء الأمة، بل وقوفها الممانع في وجه كل محاولات التطبيع.. لكن هذا العلم - نتيجة تسرعه وحدته - لم ينفعه.. فراح يعق في خطبه وبياناته محرصاً على الفتنة.. معتبراً أولئك العلماء الكبار الذين تفخر بهم سورية أبقاً للسلطين، ناسياً أنه صار بوقاً لأمريكا ولإسرائيل ولكل أعداء الأمة.

كان في إمكانه وهو صاحب ذلك المحل الرفيع أن يذهب صحبة جسده المسمى اتحاد علماء المسلمين إلى سورية كما ذهب قبلها إلى أفغانستان من أجل تماثيل بوذا.. وكان يمكن بسهولة أن يلتقي بالرئيس السوري.. ويسمع منه خطة الإصلاح.. ثم يصدر بعدها بيانات الدعوة إلى الحوار وإلى السلام وإلى الحكمة.. وتنتهي بعدها بسهولة الأزمة السورية.

لم يكن يحتاج إلى عناء السفر، فقد كان يكفي أن يسمع

من القنوات السورية وهي تبث خطب الرئيس الداعية للحوار.. لكن رأس هذا البابا الممتلئ كبراً قال بحدته وشدته المعهودة: (لا حوار)، متخلياً عن كل تلك المبادئ التي كان يصرخ بها كل حين من أن الإسلام دين الحوار، وأن الله بعظمته وجلاله حاور إبليس ..

لم يكتف بهذا.. بل راح يسعى لفيلم حربي جديد تقوده الولايات المتحدة الأمريكية في المنطقة.. عمل على هذا أشهراً طوالاً.. لكن هذا اللحم اصطدم بالفيتو الروسي والصيني.. فراح يفتي بمقاطعة البضائع الروسية والصينية وهو يعلم أن الناس إن لم يشتروا بضائع هاتين الدولتين فسيشترون بضائع أمريكا أو أوروبا أو إسرائيل.. وهم في كل مراحلهم أعداء الأمة الأوائل.

لم يكفه هذا.. فراح يصدر فتاوى وبيانات بوجوب الجهاد في سورية، وبإعانة الجماعات الإرهابية المسلحة لا بالمال وحده، بل بالسلاح أيضاً.. وهو يعلم أن نتيجة

هذا خطيرة جداً قد تمتد لأجيال طويلة.. ولكنه لا يبالي
لأن عقله وتفكيره أضيّق من أن يفكر في عواقب ما
يصدره من الفتاوى والبيانات ..

لسنا ندري ماذا سيفعل بعد هذا.. لكننا نعلم أن عمر
هذا الرجل إن امتد فسيمد عنقه إلى بلاد جديدة ليجعل من
بلاد العرب والمسلمين أنهاراً من الأحقاد والضغائن
والدماء.

القرضاوى وجه من وجوه الوهابية:

كان صاحبي يتحدث والغضب قد ملأه إلى أن خشيت
عليه، فقلت مازحاً: وأخيراً أراك غاضباً على غير
الوهابيين.. لعلك أدركت أن الشر ليس قاصراً عليهم.
نظر إلي، وقال: ومن قال لك أن هذا الدجّال ليس
وهابياً؟.

قلت: لا أراه يطيل لحيته، أو يقصر قميصه.. بل أراه
عصرانياً إلى أقصى الحدود.

قال: إن الرجل وجه من وجوه الوهابية الكثيرة.. وهو وجه مطلي ببعض المساحيق التي تخفي الدمامة والكبرياء والغرور والفتنة.

قلت: ولكني أرى الوهابيين ينكرونه؟.

قال: هم ينكرون مساحيقه.. أما حقيقته فايست غيرهم.. ألا تراه يرجع كل حين إلى ابن تيمية يستلهم منه؟.

قلت: بلى.

قال: ما أفصح من رجوع إلى ابن تيمية..

قال ذلك، ثم أشاح عني بوجهه، فلم أجد إلا أن أنصرف وأتركه..

عندما دخلت غرفتي شغلت التلفاز، فرأيت صوراً لدمار كثير في سورية، وسمعت الصحفي المعلق يقول بغضب: هذه آثار فتاواك يا قرضاوي.. وهذا هو الحل الذي جاء به الإسلام يا إخوان.. فهلاً كففتم شركم عنا؟!..

القحطاني.. وسنة الحقد

في اليوم السادس عشر من زيارته لي جاءتني دعوة للحضور إلى أمسية شعرية تقام في بعض مراكزنا الثقافية، وقد كانت المؤسسة الداعية إليها والراعية لها عجيبة في نظري، فقد كانت مؤسسة وهابية ممثلة غلظة، فتعجبت كيف لانوا للشعر، أو كيف لان لهم الشعر.

قلت في نفسي: لعل الله الذي ألان الحديد لداود ألان من نفوسهم ما كان صعبًا، ومن قلوبهم ما كان قاسيًا. ثم قلت لنفسي: فلأصحب معي صاحبي الوهابي، فعساه يخفف من حدته وشدته وغلظته عليهم.

ذهبنا جميعًا إلى الأمسية الشعرية التي لم نكن نتصور أبدًا أنها تتحول إلى أمسية حقدية.. وقد انتهت بما تنتهي به مجالس الوهابية عادة من السباب المضاف إليه بعض السهام التي أصابنتي، وأصابت معي صاحبي الوهابي،

والتي نقلنا بسببها إلى المستشفى، وتوقفنا بسببها مدة عن
مجالس الاعتراف التي يدلي بها إلي.

كان اسم الشاعر - كما ذكر في تعريفه - غريباً جداً،
وكأنه جاء من القرون الخوالي، كان اسمه (أبو عبد الله
محمد بن صالح القحطاني المعافري الأندلسي)^(١).

وكان مظهره أغرب منه، فقد كان أقرب إلى السفّاحين
وقطّاع الطرق منه إلى الشعراء.. بل إنه أضاف إلى
القسوة البادية على ملامحه سيفاً كان يختصره، وبجانبه
خنجر، وقد علق على كاهله قوساً ومعها كنانة ملئت

(١) قال أحمد بن المقرئ التلمساني في (نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب)
في ترجمته: هو أبو عبد الله محمد بن صالح القحطاني، المعافري الأندلسي المالكي
رحل إلى المشرق فسمع بالشام خيثمة بن سليمان، وبمكة أبا سعيد بن الأعرابي،
وببغداد إسماعيل بن محمد الصفار، وسمع بالمغرب بكر بن حماد التاهرتي ومحمد
ابن وضاح وقاسم بن أصبغ، وبمصر جماعة من أصحاب يونس والمزني. روى
عنه أبو عبد الله الحاكم وقال: اجتمعنا به بهمدان، مات ببخارى سنة ٣٨٣، وقيل:
سنة ثمان، وقيل: سنة تسع وسبعين.

سهاماً..

كان مظهره مضحكا جداً، ومخيفاً جداً.. ولذلك فقد
كتب في الإعلان عن الأمسية أن لا يحضر النساء ولا
الصبيان ولا المجانين.. ولست أدري لم استنتي المجانين.
المهم أن الجلسة بدأت، وأخذ الشاعر السفاح يلقي
بقنابل شعره بصوت مدو كصوت المدافع، وكان يطلب
من الحاضرين كل حين أن يستحسنوا ما يقوله بطريقة
هي أشبه بالتهديد منها بالرجاء.

كان من جملة ما شدني إلى شعره ذلك الحقد الشديد
على المخالف، فقد كان معنا نفر من المعتزلة دعوا كما
دعينا، وقد تعجبت كيف دعوا.. ولكني عندما رأيته يتوجه
إليهم بهذه الكلمات أو هذه القنابل عرفت سر دعوتهم لهم،
لقد قال وهو ينظر إليهم بحقد وقسوة، وكأنه يغري بهم
السفهاء من الوهابية:

مَنْ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ خَالِقُ قَوْلِهِ فَقَدِ اسْتَحَلَّ عِبَادَةَ الْأَوْثَانِ
 مَنْ قَالَ: فِيهِ عِبَارَةٌ وَحِكَايَةٌ فَغَدَا يُجْرَعُ مِنْ حَمِيمِ أَنْ
 مَنْ قَالَ: إِنَّ حُرُوفَهُ مَخْلُوقَةٌ فَالْعَنَهُ، ثُمَّ أَهْجَرَهُ كُلُّ أَوَّانٍ
 لَا تَلْقَى مُبْتَدِعًا وَلَا مُتَزَنِدًا إِلَّا بَعِيسَةَ مَالِكِ الْغَضْبَانِ
 وَالْوَقْفُ فِي الْقُرْآنِ خُبْتُ بَاطِلٌ وَخِذَاغُ كُلِّ مُدْبَذِبِ حَيْرَانَ
 قُلْ: غَيْرُ مَخْلُوقِ كَلَامِ الْهِنَا وَاعْجَلْ، وَلَا تَكُ فِي الْإِجَابَةِ وَأَنْ
 أَهْلُ الشَّرِيعَةِ أَيْقَنُوا بِنُزُولِهِ وَالْقَائِلُونَ بِخَلْقِهِ شَكْلَانَ
 وَتَجَنَّبِ اللَّفْظَيْنِ ، إِنَّ كِلَيْهِمَا وَمَقَالَ جَهْمٍ عِنْدَنَا سَيَّانٍ

ثم نظر إلى قوم من الحاضرين اشتهروا بين الناس
 بنصرة العقائد، والذب عنها، واستعمال المناهج العقلية في
 ذلك، فقال:

لَا تَلْتَمِسْ عِلْمَ الْكَلَامِ ، فَإِنَّهُ يَدْعُو إِلَى التَّعْطِيلِ وَالْهَيْمَانِ
 لَا يَصْحَبُ الْبِدْعِي إِلَّا مِثْلُهُ تَحْتَ الدُّخَانِ تَأْجُجُ النَّيِّرَانَ
 عِلْمُ الْكَلَامِ وَعِلْمُ شَرَعِ مُحَمَّدٍ يَتَغَايِرَانِ ، وَلَيْسَ يَشْتَبِهَانِ
 أَخَذُوا الْكَلَامَ عَنِ الْفَلَاسِفَةِ الْأُولَى جَحَدُوا الشَّرَائِعَ غَرَّةً وَأَمَانَ
 حَمَلُوا الْأُمُورَ عَلَى قِيَاسِ عُقُولِهِمْ فَتَبَلَّأُوا كِتَابَ الدِّحْيَرَانَ

ثم نظر إلى نفر من طلبة المعاهد الدينية ممن كانوا
 يلقبون بالأشاعرة، وراح يرمي إليهم بهذه القنابل:

وَالآنَ أَهْجُو الْأَشْعَرِيَّ وَحِزْبَهُ
يَا أَشْعَرِيَّةُ هَلْ شَعَرْتُمْ أَنَّنِي
أَنَا فِي كُبُودِ الْأَشْعَرِيَّةِ قَرْحَةٌ
وَلَقَدْ بَرَزْتُ إِلَى كِبَارِ شَيْوُخِكُمْ
أَشْعَرْتُمْ يَا أَشْعَرِيَّةُ أَنَّنِي
أَنَا هَمُّكُمْ، أَنَا غَمُّكُمْ، أَنَا سُقْمُكُمْ
فَوَحَقَّ جَبَّارٍ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى
وَوَحَقَّ مَنْ خَتَمَ الرِّسَالَةَ وَالْهُدَى
لَأَقْطَعَنَّ بِمَعُولِي أَعْرَاضِكُمْ
وَلَأَهْجُونَكُمْ وَأَتْلِبُ حِزْبَكُمْ
وَلَأَهْتَنَنَّ بِمَنْطِقِي أَسْتَارَكُمْ
وَلَأَهْجُونَ صَغِيرَكُمْ وَكَبِيرَكُمْ
وَلَأَنْزِلَنَّ بِكُمْ أَلِيمَ صَوَاعِقِي
وَلَأَقْطَعَنَّ بِسَيْفِ حَقِّي زُورَكُمْ
وَلَأَقْصِدَنَّ اللَّهُ فِي خِذْلَانِكُمْ
وَلَأَحْمِلَنَّ عَلَى عَتَاةِ طَغَانِكُمْ
وَلَأَكْبِتَنَّ إِلَى الْبِلَادِ بِسَبْكُمْ
وَلَأَضْرِبَنَّكُمْ بِصَارِمِ مَقُولِي
وَأَذِيعُ مَا كَتَمْتُمُ مِنَ الْبُهْتَانِ
رَمَدُ الْعُيُونِ، وَحَكَّةُ الْأَجْفَانِ
أَرُبُّو فَاقْتُلْ كُلَّ مَنْ يَشْنَانِي
فَصَرَفْتُ مِنْهُمْ كُلَّ مَنْ نَاوَانِي
طُوفَانُ بَحْرٍ أَيْمًا طُوفَانُ؟
أَنَا سَمُّكُمْ فِي السِّرِّ وَالْإِعْلَانِ
مِنْ غَيْرِ تَمَثِيلِ كَقَوْلِ الْجَانِي
بِمُحَمَّدٍ، فَزَهَا بِهِ الْحَرَمَانِ
مَا دَامَ يَصْحَبُ مُهْجَتِي جُثْمَانِي
حَتَّى تَغِيَّبَ جُنَّتِي أَكْفَانِي
حَتَّى أُلْبِغَ قَاصِيًا أَوْ دَانِي
غَيْطًا، لِمَنْ قَدْ سَبَّنِي وَهَجَانِي
وَلَتُحْرِقَنَّ كُبُودَكُمْ نِيرَانِي
وَلَيُخَمِدَنَّ شَوَاطِقَكُمْ طُوفَانِي
وَلَيَمْنَعَنَّ جَمِيعَكُمْ خِذْلَانِي
حَمَلُ الْأَسْوَدِ عَلَى قَطِيعِ الضَّانِ
فَيَسِيرُ سَيْرُ الْبُزْلِ بِالرُّكْبَانِ
ضَرْبًا يَزْعَرُغُ أَنْفُسَ الشَّجْعَانِ

ثم نظر إلى جماعة من الفقهاء، فقال:

الْفَقْهَ مُفْتَقِرٌ لِحَمْسِ دَعَائِمٍ لَمْ يَجْتَمِعْ مِنْهَا لَكُمْ ثِنْتَانِ:
 حَلْمٌ ، وَاتِّبَاعُ لِسْنَةِ أَحْمَدَ وَتَقَى، وَكَفُّ أَدَى، وَفَهُمْ مَعَانِ
 أَنْزَلْتُمْ الدُّنْيَا عَلَى أَدْيَانِكُمْ لَا خَيْرَ فِي دُنْيَا بِلَا أَدْيَانِ
 وَفَتَحْتُمْ أَفْوَاهَكُمْ وَبَطَّوْنَكُمْ فَبَلَعْتُمْ الدُّنْيَا بِغَيْرِ تَوَانٍ
 كَذَّبْتُمْ أَفْوَالَكُمْ بِفِعَالِكُمْ وَحَمَلْتُمْ الدُّنْيَا عَلَى الْأَدْيَانِ

ثم نظر إلى جماعة من قراء القرآن الكريم وحفاظه،

وقال:

قَرَأُوكُمْ قَدْ أَشْبَهُوا فَقَهَاءَكُمْ فَتَنَّتَانِ لِلرَّحْمَنِ عَاصِيَتَانِ
 يَتَكَلَّبَانِ عَلَى الْحَرَامِ وَأَهْلِهِ فَعَلَّ الْكِلَابَ بِحَيْفَةِ اللَّحْمَانِ
 أَنْعَمْتُمْ أَنَّ الْقُرْآنَ عِبَارَةٌ فَهَمَا كَمَا تَحْكُونَ قُرْآنَانِ؟

ثم نظر إلى جماعة من المحبين لآل بيت النبي ﷺ،

وقال:

لَا تَعْتَقِدْ دِينَ الرِّوَاغِضِ إِنَّهُمْ أَهْلُ الْمَحَالِ وَشَيْعَةُ الشَّيْطَانِ
 إِنَّ الرِّوَاغِضَ شَرٌّ مِنْ وَطِي الْحَصَى مِنْ كُلِّ إِنْسٍ نَاطِقٍ أَوْ جَانٍ
 وَالْعَنَ زِنَادِقَةَ الرِّوَاغِضِ إِنَّهُمْ أَعْتَقَهُمْ غَلَّتْ إِلَى الْأَدْقَانِ
 جَحَدُوا الشَّرَائِعَ وَالنُّبُوَّةَ وَأَقْتَدُوا بِفَسَادِ مِلَّةِ صَاحِبِ الْإِيْوَانِ
 لَا تَرْكَنَنَّ إِلَى الرِّوَاغِضِ إِنَّهُمْ شَتَمُوا الصَّحَابَةَ ذُونَ مَا بُرْهَانِ

ثم نظر إلى جماعة من علماء الفلك والجغرافيا دعوا

إلى ذلك المجلس، وقال:

وَكَيْدًا طَبِيعَةُ الشَّرِيعَةِ ضِدُّهَا
وَإِذَا طَلَبْتَ طَبَائِعًا مُسْتَسَلِمًا
عَلِمَ الْفَلَاسِيفَةُ الْغَوَاةَ طَبِيعَةَ
لَوْلَا الطَّبِيعَةُ عِنْدَهُمْ وَقَالَهَا
وَالْبَحْرُ: عُنْصُرُ كُلِّ مَاءٍ عِنْدَهُمْ
وَالْغَيْثُ: أَبْخِرَةٌ تَصَاعَدُ كَلَّمَا
وَالرَّاعِدُ عِنْدَ الْفَيْلِسُوفِ بَرِّعَمِهِ:
وَالْبَرْقُ عِنْدَهُمْ: شَوْاطِئُ خَارِجٌ
كَذَبَ أَرِسْطَالِيْسُهُمْ فِي قَوْلِهِ
الْغَيْثُ يُفْرَغُ فِي السَّحَابِ مِنَ السَّمَاءِ
لَا قَطْرَةَ إِلَّا وَيَنْزِلُ نَحْوَهَا
وَالرَّعْدُ: صَيْحَةُ مَالِكٍ، وَهُوَ اسْمُهُ
وَالْبَرْقُ: شَوْاطِئُ النَّارِ يَزْجُرُهَا بِهِ
أَفْكَانَ يَعْلَمُ ذَا أَرِسْطَالِيْسُهُمْ
أَمْ غَابَ تَحْتَ الْأَرْضِ، أَمْ صَعِدَ السَّمَاءَ
أَمْ كَانَ دَبْرَ لَيْلِهَا وَنَهَارِهَا؟
أَمْ سَارَ بِطَلِيْمُوسَ بَيْنَ نَجْمَيْهَا؟
أَمْ كَانَ أَطْلَعَ شَمْسَهَا وَهَلَّلَهَا؟
أَمْ كَانَ أَرْسَلَ رِيحَهَا وَسَخَابِهَا
بَلْ كَانَ ذَلِكَ حِكْمَةَ اللَّهِ الَّذِي

وَلَقَلَّ مَا يَتَجَمَّعُ الضَّدَانِ
فَاطْلُبْ شَوْاطِئَ النَّارِ فِي الْغُدْرَانِ
وَمَعَادُ أَرْوَاحِ بِلَا أْبْدَانِ
لَمْ يَمْشِ فَوْقَ الْأَرْضِ مِنْ حَيَّوَانِ
وَالشَّمْسُ أَوَّلُ عُنْصُرِ النَّيِّرَانِ
دَامَتْ بِهَطْلِ الْوَابِلِ الْهَتَّانِ
صَوْتُ اصْطِكَكِ السُّحْبِ فِي الْأَعْتَانِ
بَيْنَ السَّحَابِ بُضِيءٌ فِي الْأَحْيَانِ
هَذَا، وَأَسْرَفَ أَيَّمَا هَدْيَانِ
وَيَكِيلُهُ مِيكَالُ بِالْمِيزَانِ
مَلَكٌ إِلَى الْأَكَامِ وَالْفَيْضَانِ
يُزْجِي السَّحَابَ كَسَائِقِ الْأَطْعَانِ
زَجَرَ الْخُدَاةَ الْعَيْسِ بِالْقَضْبَانِ
تَدْبِيرَ مَا انْفَرَدَتْ بِهِ الْجَهْتَانِ؟
فَرَأَى بِهَا الْمَلَكُوتَ رَأَى عِيَانِ؟
أَمْ كَانَ يَعْلَمُ كَيْفَ يَخْتَلِفَانِ؟
حَتَّى رَأَى السَّيَّارَ وَالْمُتَوَاتِي؟
أَمْ هَلْ تَبَصَّرَ كَيْفَ يَعْتَقِبَانِ؟
بِالْغَيْثِ يَهْمِلُ أَيَّمَا هَمَلَانِ؟
بِقَضَائِهِ مُتَّصِرَفَ الْأَرْمَانِ

وهكذا ظل يتردد من قوم إلى قوم يهجوهم، ويسبهم،

ولا يترك شيئاً يمكنه أن يسيء إليهم إلا نطق به إلى أن
طفح الكيل، فوقف صاحبي الوهابي، وقد اعترته الحمية،
وراح يهجوهُ بمثل ما يهجو به غيره، فصوب سهماً من
كنانته إليه، فقمت أحميه، فصوب سهماً آخر، ولم نفظن
بعدها إلا ونحن في المستشفى.. ولا زلنا فيه.

ابن تيمية.. وأعداؤه

في اليوم السابع عشر وقبل أن أخرج إلى صاحبي الوهابي سمعت صياحًا كثيرًا في حارتنا، فخرجت لأستطلع ما يحدث، فوجدت الكثير من الشيوخ والشباب يقيمون تأبينًا لرجل نفذ فيه الإعدام ذلك اليوم، وعندما سألت عنه عرفت أنه ينتمي لتنظيم القاعدة، وأنه سافر إلى محال كثيرة من الأرض قبل أن يمسك به، وأنه في كل محل سافر إليه ترك خلفه دمارًا ودماءً وآلامًا.

لكن المؤبنين غفلوا عن كل ذلك، وراحوا يشيدون بشجاعته وهو يتقدم إلى المقصلة، ثم كيف يخاطب جلاديه بلغته القوية، وكيف أنه في ذلك الموقف الشديد تذكر كلمات ابن تيمية التي قال فيها: (ما يصنع أعدائي بي؟ أنا جنتي وبستاني في صدري، إن رحمت فهي معي لا تفارقني، إن حبسي خلوة، وقتلي شهادة، وإخراجي من بلدي سياحة).

كان الخطباء يتداولون على المنصة، يذكرون أمجاد
الرجل وآثاره، ولا يضمنون له الجنة فقط، بل يضمنون
له معها الفردوس الأعلى في صحبه ابن تيمية وابن عبد
الوهاب وأصحابهما.

لست أدري كيف سقطت دمعة من عيني في ذلك
الموقف المؤثر الذي اختلطت فيه أصوات الخطباء
بتكبيرات الحاضرين..

تركتهم، وانصرفت إلى البيت، وأنا محتار في سر
الدمعة التي سقطت من عيني مع أنني أعلم جيدًا المآسي
الكثيرة التي خلفها ذلك الرجل على الحياة والأحياء.

عندما دخلت على صاحبي الوهابي نظر إلى عيني،
وقال: هل قام القوم بتأبين ابن تيمية؟

قلت: ما بالك يا رجل.. ابن تيمية أبن منذ مئات
السنين..

قال: فمن أبن إذن هذا اليوم؟.

قلت: رجل من حارتنا سار إلى بلاد كثيرة، وقد قبض عليه في بعضها، وأودع السجن فترة من الزمن، ثم حكم عليه بالإعدام، ثم أعدم هذا اليوم؟
قال: وقد قام أهل حارتكم بتأبينه والحزن عليه،
وضمن الجنة له.

قلت: لعل هذا نابع من وفائهم.

قال: بل هو نابع من غبائهم وغفلتهم وحمقهم؟.

قلت: ماذا تقصد؟.

قال: إنه نابع من الناحية التي يؤتى منها الطيبون
المغفلون البلهاء الذين يغلبون عواطفهم على عقولهم.
قلت: لست أدري هل أراك تذمهم، أم أراك تمدحهم؟
قال: لا أنا أمدحهم، ولا أنا أذمهم.. ولكني أصف
واقعًا.. والواصف لا مادح ولا ذام؟.

قلت: أي واقع.. وما علاقته بالرجل.. وما علاقة كل
ذلك بابن تيمية؟.

قال: الواقع هو نفسك.. ونفوس الآلاف والملايين.. بل نفسي قبل أن تنتزل عليها أنوار الهداية فتمسح عنها ظلمات العاطفة الباردة، والحزن الكاذب.

قلت: سلمت لك، وإن كنت لم أفهم.. فما علاقة نفسي ونفوس الآلاف والملايين ونفسك قبل التوبة بهذا الرجل المسكين؟.

قال: ألم تعلم لم سجن الرجل الذي سافر إلى بلاد كثيرة.. ولم حكم عليه بالإعدام؟.

قلت: لقد قيل إنه من القاعدة.. وهي كما تعلم لا يعرف أعضاؤها قيمة للحدود الجغرافية.

قال: فما الذي خلف في كل بلاد نزل فيها؟.

قلت: ما تخلفه القاعدة عادة.. دمار ودماء ليس غير.

ابن تيمية شيخ تنظيم القاعدة:

قال: فقد صدقت فراستي إذن عندما ذكرت لك أن المؤيّن هو ابن تيمية.. فشيخ القاعدة وملهمها ومفتيها هو

ابن تيمية.

قلت: إن شئت الصدق، فقد كان لهذا الشاب تعلق كبير
بابن تيمية حتى أنه عندما سيق إلى منصة الإعدام نسي
أن ينطق الشهادة، ونطق بدلها بكلمة ابن تيمية التي
يحفظها الجميع: (ما يصنع أعدائي بي؟).

قال: لقد سمعت هذه العبارة كثيرًا عندما كنت في
سجون الوهابية.. لقد كانوا يضعونها مع كل حزام ناسف،
ومع كل قنبلة موقوتة، ومع كل هدم يمارسونه.. لقد كانوا
يقتلون الحياة ويدمرون ما أمر الله به أن يبنى، فإذا ما
قبض على أحدهم فسجن أو اعتقل تراهم جميعًا يحزنون
على سجنه، ويبكون على اعتقاله، فإذا ما أعدم خطبوا
الخطب المطولة في وصف شجاعته وشهادته متناسين ما
فعله بالحياة وبالإنسان.

قلت: لا أكتفك أن الخطباء عندنا يذكرون كثيرًا
المآسي والمحن التي تعرض لها ابن تيمية.. بل يعتبرونها

أهم دلائل صدقه وإخلاصه ومواقفه البطولية.. بل إنهم يعتبرونه فوق ذلك شهيداً؛ لأنه استطاع أن يواجه خصومه بتلك العبارة الشهيرة التي صارت شعاراً للكثير.. ولهذا تجد أكثر الناس لا يعرفون من ابن تيمية إلا أنه سجن ومات في سجنه.. بل إن بعضهم يبالغ فيذكر أنه في سجنه صعق بالكهرباء وعذب بأشياء كثيرة لم يكن يعرفها أهل ذلك الزمان.

قال: فهل كان صاحبك هذا يعرف مقالات ابن تيمية؟. قلت: لم يكن يعرف مقالاته.. ولكنه كان يعرف أعداءه.. وكان يحصيهم كل حين واحداً واحداً، ويتوعد بالانتقام منهم إن لاحت له أي فرصة.

أعداء ابن تيمية:

قال: فمن كان أعداؤه؟.

قلت: لقد كان يذكر أنهم: علماء الفقه والعقائد والعلوم التجريبية بالإضافة إلى الشيعة والصوفية والقبورية

وغيرهم ممن لا تحضرني أوصافهم.

قال: فهل بقي هؤلاء الأعداء أم أن التاريخ ذهب بهم؟
قلت: لقد كان ذلك الشاب يردد دائماً بأن باله لن يهدأ
حتى ينتقم من جميع أعداء ابن تيمية.. وذلك يدل على
أنهم لا يزالون يسرحون ويمرحون.

قال: ما دمت قد ذكرت ذلك، فسأذكر لك حادثة لتعلم
منها سرّاً من أسرار الإرهاب الوهابي.. وهي حادثة
حصلت لي، وكانت سبباً من أسباب تغلب عقلي على
عاطفتي، وحقيقتي على وهمي.

لقد أدركت من تلك الحادثة أنه منذ أخرج ابن عبد
الوهاب عفريت ابن تيمية من قمقمه ومأساته تستنزل
دموع الملايين.. إن أصدقاء ابن تيمية من الوهابية
والإخوان وغيرهم من الحركات السلفية تذكر أن ابن
تيمية عودي ولا يذكرون أبداً أنه عادى.. ويذكرون أنه
سجن، ولا يذكرون أبداً تلك الأرواح الطيبة التي سجنها

في أفكاره الخبيثة التي تفوح منها روائح الشياطين.
في ذلك اليوم الذي قررت مع نفر من أصدقائي،
وبوحي من صديق غريب من أصدقائنا، كان ممثلًا نورًا
وحكمة وأدبًا أن نؤسس جمعية نطلق عليها (جمعية
أصدقاء ابن تيمية)، وقد كان الهدف منها كما ذكر لنا
صديقنا الحكيم أن نبحث في ابن تيمية بحثًا علميًا
وموضوعيًا لنخرج صورته الحقيقية للناس، قال لنا حينها:
هلم بنا أيها الأصدقاء ندافع عن ابن تيمية بالعلم لا
بالعاطفة.. دعنا من مقولاته (إن جنتي وبستاني في
صدري)، ودعنا من مقولاته الكثيرة التي يعرفها الناس
جميعًا، وهلم بنا نبحث عن الجديد في تراث هذا الرجل
الذي شغل الأجيال.

قلنا: فما تقترح علينا؟.

قال: أقترح عليكم أن نؤسس جمعية تبحث من خلال
كلماته وتصريحاته عن حقيقته.. ودعنا نستمع لأعدائه،

لنرى سر عداوتهم له.. لماذا نصم أذاننا عنهم.. ولماذا
نحتقرهم ونكفرهم.. نحن نعلم أن ابن تيمية بشر، وأنه قد
يكون صدر منه ما ألب أعداءه عليه.. فهلم بنا نبحث عن
هؤلاء، وهلم بنا نخرج ما في صدورهم عنه.

لم نجد - نحن النفر القليل - إلا أن نقبل ذلك، وقد
استعملنا ما أتاح الله لنا من طاقات لنجمع جمعاً حضر فيه
كل من ينتقد ابن تيمية أو يعاديه أو يحمل له ولو بذرة من
بذور الإنكار..

وقد كان الجمع على خلاف ما توهمنا كثيراً جداً، حتى
أننا لم نجد من السعة ما نؤدي به حق ضيافته.. لكنهم
رضوا بدل إطعامنا بأن تشرح صدورنا لهم، ونفتح
أسماعنا لحديثهم.

وسأقص عليك بعض ما جرى من حديث عسك تنتفع
به.

العدو الأول: الصوفية

كان أول المتحدثين رجلاً تبدو عليه علامات الصلاح والزهد والتواضع، وتلوح على وجهه سمات الحكماء والعارفين، كان اسمه ابن عطاء الله، نظر إلينا وسلّم علينا جميعاً بسلام ممثليّ بالمحبة والأخوة، ثم قال: نحن - الصوفية - لا نحمل حقداً على أحد، لأننا لا نرى إلا الله، ولا نبحت إلا عن الله، ولا نسير إلا إلى الله.. والله هو المحبة وهو السلام وهو الرحمة التي لا يحدّها شيء.. لقد قال لي شيخي، وهو يؤدبني:

قام رجل منا مغضباً، وقال: دعنا من شيخك.. وحدثنا عن سر عداوتكم لابن تيمية؟.

نظر الشيخ إليه بهدوء، وقال: ابن تيمية هو الذي عادانا.. وهو الذي أعلن حربه علينا.. هو الذي ذهب إلى تلك المعاني العرفانية السامية التي اتفق عليها جميع صالحى البشرية، فاعتبرها إحاداً واتحاداً وحلولاً

ومروفاً، واعتبر أصحابها من الأولياء ملاحدة وأفاكين
ومارقين ومحاربين للرسول صلوات الله وسلامه عليهم.
وذلك لأن نظرتة قاصرة لله، فهي مبنية على التجسيم
والتحديد والحصر، وكأن الله عنده ليس سوى جرم من
الأجرام السماوية الضخمة.

بل إن نظرتة تلك هي التي جعلته لا يفهم أولاً ما
نقصه من المعاني السامية، وجعلته ثانياً يحكم علينا
وعلى معارفنا وعارفينا، وأنتم تعلمون أن الناس أعداء لما
جهلوا.

قال النيمي: كيف تتجرأ على اتهام ابن تيمية بالجهل،
وهو الذي جمعت له كل أصناف العلوم يأخذ منها ما
يشاء، ويدع ما يشاء.

قال الصوفي: عجباً لكم يا عبّاد ابن تيمية، أستم
تذكرون أنه سافر كثيراً، وجاهد كثيراً، وتنقل بين الناس
أمراً بالمعروف وناهياً عن المنكر كثيراً؟.

قال التيمي: بلى.. وفوق ذلك سجن كثيرًا إلى أن وافاه
الأجل في سجنه.

قال الصوفي: فكيف يتسنى له أن يدرس جميع كتب
الفلاسفة والحكماء والصوفية والفقهاء والمحدثين
والمسيحيين واليهود وجميع الطوائف، وكل علم من هذه
العلوم تستهلك أعمارًا.

قال التيمي: أنت لا تعرف شيخ الإسلام، لهذا تقول هذا
الكلام.. لقد ذكر المؤرخون له أنه تنصب للفتوى، وهو
ابن سبع عشرة سنة، وشرع في الجمع والتأليف من ذلك
الوقت، ولهذا كثرت مؤلفاته وبورك له فيها.

قال الصوفي: فمن فتاوى ابن تيمية إذن فتاواه وهو
ابن سبع عشرة سنة؟.

قال التيمي: أجل.. بل إن من كتبه ما كتبه في ذلك
السن.. وهو من فضل الله الذي يؤتیه من يشاء..

بين الغزالي وابن تيمية:

قال الصوفي: ألا تعرف أن الغزالي مع اهتمامه بالعلوم العقلية وتدرسه لها، عندما أراد أن يضع فتواه في الفلسفة احتاج إلى سنتين كاملتين لدراستها متفرغاً تاماً، ومع ذلك يقر بأنه لم يحصها، بل لم يتطرق إلا إلى مدرسة من مدارسها.. يقول في ذلك: (فعلمت أن رد المذهب قبل فهمه والاطلاع على كنهه رمى في عمائة، فשמرت عن ساق الجد، في تحصيل ذلك العلم من الكتب، بمجرد المطالعة من غير استعانة بأستاذ، وأقبلت على ذلك في أوقات فراغي من التصنيف والتدريس في العلوم الشرعية، وأنا ممنون بالتدريس والإفادة لثلاثمائة نفر من الطلبة ببغداد، فأطلعني الله سبحانه وتعالى بمجرد المطالعة في هذه الأوقات المختلطة، على منتهى علومهم في أقل من سنتين. ثم لم أزل أواظب على التفكير فيه بعد فهمه قريباً من سنة، أعاوده وأرده وأتفقد غوائله

وأغواره، حتى اطلّعت على ما فيه من خداع وتلبيس،
وتحقيق وتخيل، اطلاقاً لم أشك فيه^(١).

قال التيمي: فرق كبير بين الغزالي وبين ابن تيمية..
فشتان بين الثرى والثريا.

استمر الصوفي في حديثه، وكأنه لم ينتبه لما ذكره
التيمي:.. وعندما قرأ التصوف لم يستعجل، فيحكم لهم أو
عليهم، بل بقي أكثر من عشر سنوات في الخلوات؛ لأنه
علم أن من علومهم ما لا يقتصر بالدراسة وحدها، بل
يحتاج معها إلى الرياضة والمجاهدة والسلوك، قال يذكر
ذلك: (ثم إني، لما فرغت من هذه العلوم، أقبلت بهمتي
على طريق الصوفية وعلمت أن طريقهم إنما تتم بعلم
وعمل، وكان حاصل علومهم قطع عقبات النفس.
والتنزه عن أخلاقها المذمومة وصفاتها الخبيثة، حتى
يتوصل (بها) إلى تخلية القلب عن غير الله (تعالى)

(١) المنقذ من الضلال: ص ١٤.

وتحليته بذكر الله.. وكان العلم أيسر عليّ من العمل.
فابتدأت بتحصيل علمهم من مطالعة كتبهم مثل: (قوت
القلوب) لأبي طالب المكي (رحمه الله)، وكتب (الحارث
المحاسبي)، والمتفرقات المأثورة عن (الجنيد) و(الشبلي)
و(أبي يزيد البسطامي) قدّس الله أرواحهم، وغيرهم من
المشايخ؛ حتى اطلعت على كنه مقاصدهم العلمية،
وحصلت ما يمكن أن يحصل من طريقهم بالتعلم
والسماع. فظهر لي أن أخص خواصهم ، ما لا يمكن
الوصول إليه بالتعلم بل بالذوق والحال وتبدل الصفات.
وكم من الفرق بين أن تعلم حد الصحة وحد الشبع
وأسبابهما وشروطهما، وبين أن تكون صحيحًا
وشبعان؟.. فعلمت يقينًا أنهم أرباب الأحوال، لا
أصحاب الأقوال.. وأن ما يمكن تحصيله بطريق العلم فقد
حصلته، ولم يبقَ إلا ما لا سبيل إليه بالسماع والتعلم، بل

بالذوق والسلوك)^(١).

التفت الصوفي إلى التيمي، وقال: فهل مارس ابن تيمية ما مارسه الغزالي من المجاهدات والرياضات الروحية لتستقيم له فتاواه؟.

قال التيمي: لقد كان شيخ الإسلام يرى أن كل ذلك بدعة، فلا وجود لشيء اسمه مجاهدات أو رياضات.. كل ذلك ضلالات أخذها المسلمون من رهبان النصارى والهنود، كما أخذ الشيعة التصوف من ابن سبأ اليهودي، وكما أخذ الفلاسفة الفلسفة من اليونان.. وكما أخذ..

قاطع الصوفي، وقال: هذه حجة الجاهل، فهل اطلع على ما فيها وأتقنه ليحكم عليه.. إن قراءة كتب ابن عربي وحدها والتأمل فيها تحتاج إلى عمر طويل، وذهن حاد، وسلوك مخلص عميق، فهل تسنى لابن تيمية كل هذا.. أم أنه بجرّة قلم راح يمحو كل شيء؟..

(١) المنقذ من الضلال: ص ٣٠.

قال التيمي: أنت تتحدث عن الزنادقة وتتصر لهم..
ألا تعلم أن الانتصار للزندقة زندقة، وأن من شك في كفر
الكافر فهو كافر.. وأن الكافر حلال الدم؟.

قال الصوفي: هذا ما علمكم ابن تيمية.. لقد حولكم
جميعاً إلى خصماء وقضاة ومنفذين.. ليس لكم من دور
في الحياة سوى أن تصنفوا الناس لتبحثوا عن القتلة التي
تتناسب معهم.

قال التيمي: دعنا من هذا، وعد بنا إلى سر عداوتكم
لشيخ الإسلام.

قال الصوفي: إن ابن تيمية بمنهجه المجادل المتسرع
المخاصم راح يقضي على كل شيء جميل ندعو إليه..
راح إلى حلاوة علاقتنا بالله يرميها بالإلحاد والزندقة..
وإلى علاقتنا برسول الله يرميها بالشرك.. وإلى علاقتنا
بأولياء الله يرميها بالضلالة.. وهكذا لم نسلم منه في
القليل أو الكثير.. حتى تلك المجالس الجميلة التي ننشد

فيها قصائد العشق الإلهي راح يبدعها ويكفرنا بسببها، بل راح يعتبر أن مجالس اللهو والمجون أفضل منها.. فلذلك عندما جاء تلميذه ابن عبد الوهاب أباح كل محبة إلا محبة الله ورسوله.. فانتشر ما ترون من الانحراف والضلال.

قال التيمي: رويدك يا هذا.. فقد قرأت لابن تيمية مقالات كثيرة ليس فيها ما ذكرت.. بل فيها عكس ما ذكرت.

ابن تيمية ينظر وابن عبد الوهاب ينفذ:

ابتسم الصوفي، وقال: لا شك أنك لا تعرف ابن تيمية، ولا تعرف دهاءه.. إن ابن تيمية لا يقتل بسيفه.. بل يقتل بسيف غيره.. إن شيخه في الدهاء معاوية بن أبي سفيان ذلك الذي استطاع أن يجعلكم جميعاً تتفرغون للدفاع عنه ولتقديسه، بل لتطردوا جميع الصحابة من أجله.

لقد ذكر المؤرخون أن رجلاً جاء إلى معاوية، ووضع يده على موضع من جسمه، وقال: ما أشبهه بهند (يعني

أم معاوية)، فقال له معاوية: ما أظنك إلا مراهنًا، فقال الرجل: نعم، فقال له: خذ مائة ألف على رهانك، وأدلك على من إذا فعلت به هذا أعطاك أكثر من هذا بكثير، فقال: من؟ فقال: زياد.. وكان زياد حازمًا شديد الحزم، فأراد معاوية أن يقطع دابر هذا الرجل بغير سيفه، فذهب الرجل إلى زياد وفعل معه مثلما فعل مع معاوية، فقال زياد: ما حملك على هذا؟ فقال: أنا مراهن، وحكى له القصة.. ففهم زياد الرسالة، وقتل الرجل.

هكذا يفعل ابن تيمية.. ولهذا لا نستغرب أن يكفر تلاميذه كل الصوفية حتى الذين لم يجرؤ ابن تيمية نفسه على تكفيرهم؛ لأن الزمان الذي كان فيه لم يسمح له بذلك.. ولكنه نظرًا للتكفير.. فجاء من بعده ليطبق تنظيراته، ويكتفي بها.

لقد جاء محمد بن عبد الوهاب ليضع النقاط على جميع الحروف التي تركها ابن تيمية معجمة.. وجاءت القاعدة

وجميع الحركات الجهادية لتصيغ من كل ذلك نظرية
الإسلام الإرهابي العدواني.

قال صاحبنا العاشق لابن تيمية: كل ما تذكره دعاوى،
فأين البيّنات؟.

قال: سأضرب لك أمثلة ربما تدلك على ذلك..

الصوفية وعشق الرسول ﷺ :

أخذ نفساً عميقاً، ثم قال: لعلك تعلم أن مبنى التصوف
على حب الرسول ﷺ، بل عشق رسول الله ﷺ،
فلهذا ترى الصوفية هم الوحيدون المختصون في المديح
النبوي.. ومن ضروريات المحبة تعظيم المحبوب، وكل
ما يرتبط به، ولهذا أنشدوا القصائد الطوال في أعظم أثر
على الأرض، بل في السموات، وهو المحل الشريف الذي
دفن فيه رسول الله ﷺ.

لقد مضت الأمة جميعاً تتقبل هذا السلوك من الصوفية
وغيرهم.. ولم يجادلهم الفقهاء، ولم يعنت عليهم

المتكلمون، بل كانوا جميعًا يدًا واحدة في تعظيم الآثار النبوية، لكن ابن تيمية جاء ليقول لنا: إن زيارة رسول الله بدعة.. بل معصية.. وأن تربة رسول الله ﷺ لا تختلف عن أي تربة.. بل جسد رسول الله ﷺ لا يختلف عن أي جسد.

لا شك أنكم قرأتم فتاواه في ذلك، ولذلك لقي منا تلك الشدة والعداوة.. فمحال على القلب الذي يحمل ما يحمل من حب لرسول الله ﷺ وتعظيم لآثاره أن يرضى بمثل تلك المقالة.

هل يرضى أحكم أن يمنع من زيارة قبر أبيه أو أمه أو ابنه؟.

قال الجميع بصوت واحد أحد: لا..

فقال الرجل: وهكذا نحن، فرسول الله ﷺ أعلى عندنا من آبائنا وأمهاتنا وأبنائنا.. ولذلك لا نقابل من منعنا من زيارته إلا بالعداوة والبغضاء التي نتقرب بها إلى الله،

فعدو الحبيب عدو لا محالة.

بهذه المشاعر نطق صاحبنا تقي الدين الحصني معبراً عن غضبه الشديد الدال على حبه الشديد لرسول الله ﷺ في كتابه (دفع شبهه من شبهه وتمرد) فقال: (ومن الأمور المنتقدة عليه - أي ابن تيمية - قوله: زيارة قبر النبي وقبور الأنبياء معصية بالإجماع مقطوع بها، وهذا ثابت عنه أنه قاله، وثبت ذلك على يد القاضي جلال الدين القزويني فانظر هذه العبارة ما أعظم الفجور فيها من كون ذلك معصية، ومن ادعى الإجماع وأن ذلك مقطوع به؟! فهذا الزائغ يُطالب بما ادعاه من إجماع الصحابة رضي الله عنهم وكذا التابعون ومن بعدهم من أئمة المسلمين إلى حين ادعائه ذلك. وما اعتقد أن أحداً يتجاسر على مثل ذلك مع أن الكتب المشهورة بل والمهجورة وعمل الناس في سائر الأعصار على الحث على زيارته من جميع الأقطار، فزيارته من أفضل المساعي وأنجح القرب إلى

رب العالمين، وهي سنة من سنن المرسلين ومجمع عليها عند الموحدين، ولا يطعنُ فيها إلا من في قلبه مرض المنافيين، ومن هو من أفراخ اليهود وأعداء الدين من المشركين الذين أسرفوا في ذم سيد الأولين والآخرين، ولم تنزل هذه الأمة المحمدية على شد الرِّحال إليه على مر الأزمان من جميع الأقطار والبلدان، سار في ذلك الزُّرافات والوُحْدان والعلماء والمشايخ والكهول والشبان حتى ظهر في ءاخر الزمان مبتدع من زنادقة حرَّان لبَّسَ على أشباه الرجال).

ومثله غضب الشيخ ابن حجر الهيتمي، فقال في كتابه: (الجوهر المنظم في زيارة القبر الشريف المكرّم): (فإن قلت: كيف تحكي الإجماع السابق على مشروعية الزيارة والسفر إليها وطلبها، وابن تيمية من متأخري الحنابلة مُنكرٌ لمشروعية ذلك كلّ كما رآه السبكي في خطه، وأطال - أعني ابن تيمية - في الاستدلال لذلك بما

تمجُّه الأسماع وتنفر عنه الطباع بل زعم حرمة السفر لها إجماعاً، وأنه لا تقصر فيه الصلاة وأن جميع الأحاديث الواردة فيها موضوعة وتبعه بعض من تأخر عنه من أهل مذهبه؟ قلتُ: مَنْ هو ابن تيمية حتى يُنظرَ إليه ويُعوَّلُ في شيء من أمور الدين عليه؟، وهل هو إلا كما قال جماعة من الأئمة الذين تعقبوا كلماته الفاسدة وحججه الكاسدة حتى أظهروا عوار سقطاته وقبائح أوهامه وغلطاته كالعز بن جماعة: عبد أضلَّهُ اللهُ تعالى وأغواه، وألبسه رداء الخزي وأرداه، وبوَّأه من قوة الافتراء والكذب ما أعقبه الهوان، وأوجب له الحرمان).

هذا مثال واحد ترى به كيف استفزنا وكيف جرح مشاعرنا..

قال صاحبنا التيمي: لقد صار هذا من المسلمات عندنا، فالقبور واحدة، وكل من توجه إليها، فهو قبوري، وكل قبوري، فهو مشرك، وكل مشرك، فهو حلال الدم.

قال الصوفي: أرأيت النتيجة التي كان يرمي إليها ابن تيمية.. إنه لم يكن يهدف بتلك الفتاوى إلى مجرد النطق بحكم رآه أو اجتهد فيه، وإنما انطلق إلى بديهيات الدين ومسلماته التي يقوم عليها لينخر فيها.. فإذا ما هدت هد الدين جميعاً.

قال التيمي: إنك تبالغ كثيراً في ذلك.

قال الصوفي: أنا لا أبالغ في ذلك.. ولكن الحقيقة التي تفوح منها كتب ابن تيمية كلها تدل على ذلك، فابن تيمية لم يكن يرى في رسول الله ﷺ سوى بشر ممثلي بالضعف والقصور كلف كما يكلف سفراء الدنيا بإرسال الرسائل، فإذا ما وصلت الرسالة انتهت مهمته وانقضت، ولم تبق له علاقة بالمرسل إليهم.

قال التيمي: إن هذا من العقائد التي نعتقدها، ونجزم بها.

قال الصوفي: ولذلك تحرمون التوسل والاستغاثة

برسول الله ﷺ .

قال التيمي: نحن لا نحرم ذلك فقط، بل نحن نكفر من يفعل ذلك ونبيح دمه.

قال الصوفي: ولم؟.

قال التيمي: لأن رسول الله ﷺ مات.. وعندما مات صار لا يختلف عن أي جماد من الجمادات.. لا ترجى منه أي منفعة، ولا تدفع به أي مضرة.

قال الصوفي: وممن تعلمتم هذا؟

قال التيمي: لقد علمنا هذا شيخنا ابن عبد الوهاب، وهو قد تعلمه من شيخه ابن تيمية.

ابن تيمية هو بديل رسول الله ﷺ :

قال الصوفي: فكيف هي علاقتكم برسول الله ﷺ؟.

قال التيمي: هي علاقة من جاءته الرسالة، فهو منشغل بها عن موزع البريد الذي جاء بها.

قال الصوفي: ولهذا استطاع ابن تيمية أن يجعل من

نفسه بديلاً عن رسول الله ﷺ ..

قال التيمي: كيف تقول هذا، وهو لم يدع النبوة.
ابتسم، وقال: ألا ترى أنكم تخالفون الأحاديث التي
صحت إن وقف منها ابن تيمية موقفاً سلبياً؟.
قال التيمي: بل.. نفعل ذلك.. فهو حافظ متقن.
قال الصوفي: حتى لو خالف جميع المحدثين.
قال التيمي: أنت لا تعرف ابن تيمية.. لقد جمعت له

جميع علوم الدنيا، لقد قال فيه الشاعر:
ماذا يقول الواصفون له وصفاته جلت عن الحصر
هو حجة الله قاهرة هو بيننا أعجوبة الدهر
هو آية للخلق ظاهرة أنوارها أربت على الفجر^(١)
لقد ذكر لي الدكتور عبد العزيز بن محمد بن عبد الله
السدحان ونحن نتذاكر سرعة شيخنا ابن باز في
استحضاره للأدلة، فقال: نقل أحدهم مقولة عن بعض أهل

(١) انظر: العقود الدرية لابن عبد الهادي ص ٩.

العلم مفادها: (لو لم نُخبرَ بختام النبوة لقلنا: إن ابن تيمية نبي) فَعُرِضت العبارة على بعض أهل العلم فبالغ في أنكارها. وعرضتها بنفسي على سماحته - رحمه الله تعالى - فتبسم ضاحكاً وقال ما معناه: نعم، لذلك أصل.. ثم ذكرَ حديث (لو كان بعدي نبي لكان عمر بن الخطاب)^(١).

أرأيت كيف يعرف الرجال قيمة الرجال؟

قال الصوفي: فهنيئاً لكم بنبوة ابن تيمية.. ودعونا لرسول الله.. فنحن نعتقد أن النبوة ختمت به.

وبقي الصوفي طيلة ذلك اليوم يتحدث عن مواقف ابن تيمية من التصوف وأهله، وقد أحضر معه جميع ما كتب ابن تيمية، وما كتبه أنصاره، وقارنه بما كتب الصوفية.. فدلنا عليه إلى أن وضعنا في موقف حرج عرفنا من خلاله مدى العداوة التي كان يحملها ابن تيمية للصوفية،

(١) الإمام ابن باز دروس وعبر ص ٣٣.

ومدى ظلمه لهم.

العدو الثاني: الشيعة

وفي اليوم الثاني قام رجل من علماء الشيعة هو أشبه الناس بعالم جليل من علمائهم لا يزال حيًّا، هو السيد كمال الحيدري، فقال: أيها الجمع الكريم.. لا شك أنكم تعرفون مبلغ عداوة ابن تيمية للشيعة بفرقتها جميعًا، وخصوصًا أصحاب جعفر الصادق عليه السلام، والأئمة الاثني عشر عليهم السلام.

قال الجمع: أجل.. فقد خصص في ذمكم الكتب والفتاوى.. وسبكم بما لا مزيد عليه.. وعندما جاء أتباعه من بعده كتبوا أضعاف ما كتب، وسبوكم بأضعاف ما سبكم به.. بل أباحوا فوق ذلك دماءكم واستحلوا أعضائكم.

قال الشيعي: ولذلك سأطرح ظلامتي وظلامه مئات الملايين من الشيعة التي ارتكبتها هذا الرجل في حقنا..

وقبل أن أتحدث عن ذلك أحب أن أذكر لكم بأن جميع أصناف العداوة التي عاды بها الصوفية كانت متوجهة لنا أيضاً؛ لأننا نتفق مع الصوفية في جميع الجوانب العرفانية والسلوكية التي طرحوها، بل إنا نعتقد أن الصوفية ليسوا سوى أبناء بررة لآل البيت عليهم السلام، حملتهم التقية والظروف الشديدة على أن يظهرُوا ببعض المظاهر التي نخالفهم فيها.

قال التيمي: لا حاجة لك لبيان ذلك.. فقد كتب تلاميذ ابن تيمية يبرزون الصلة بين التشيع والتصوف..

قال الشيعي: وبناء على هذا فلن أكرر ما ذكره أخي الصوفي.. وإنما أضيف إليه ذكر الحقيقة التي أراد ابن تيمية وأتباعه طمسها.. وهي أنه ليس لنا دين خاص كما يزعم هذا الرجل.. فمصادر ديننا هي نفس مصادر جميع المسلمين من كتاب وسنة إلا فرقاً بسيطاً، وهو أننا لا نتلقى السنة إلا من المصادر التي نرى سلامتها، ولا

حرج علينا في ذلك، فأنتم تعلمون أن لكل فقيه من فقهاء الإسلام من يثق فيه من الرواة، ومن لا يثق فيه.. ومع ذلك فإن نسبة كبيرة من الاتفاق بيننا وبين سائر المسلمين في أكثر النصوص الواردة عن النبي ﷺ.

وهكذا الأمر بالنسبة للكثير من أمور الدين.. فالخلافات بيننا وبين سائر المسلمين فرعية بسيطة لنا أدلتنا عليها، ونحن نحرض على عرضها وتبيان وجاهتها والتحذير من الانحراف الذي وقع في الأمة بسبب التفريط فيها.. أليس لنا حق في ذلك؟ أم ترانا نتمدد ونتوسع إن فعلنا ذلك؟ مع أنه لا يوجد أحد في الدنيا إلا ويشرح مذهبه وآراءه ليقنع من يشاء ويعرض من يشاء.

سكت الجمع، فقال: بناء على هذا.. أحب أن أختصر لكم بأن التشيع في حقيقته ليس سوى الولاء التام لمحمد ﷺ وآل بيته الطاهرين، والولاء عندنا ليس المحبة العاطفية المجردة، وإنما هو ولاء شامل لنصرتهم

واتباعهم والتمسك بهم.. هذه قناعتنا.. وهذا فهمنا لما ورد في النصوص الدالة على وجوب موالاتهم.. ولهذا لم نزاحم بحب واتباع محمد ﷺ وآل بيته أحدًا من الناس مهما كان.. بل اعتبرنا الجمع بين الولاء لمحمد ﷺ وآل بيته الطاهرين نوعًا من النفاق.. فكيف يستقيم أن نوالي عليًّا بن أبي طالب ذلك الذي قال فيه رسول الله ﷺ: (أنت منِّي بمنزلة هارون من موسى)، وقال فيه: (لا يحبُّك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق) مع من كال له العداوة، ونصب له الحرب..

نحن لم ننفذ في مواقفنا من الذين حاربوا عليًّا عليه السلام أو أبغضوه إلا ما أخبر به رسول الله ﷺ من أنه لا يحبه إلا مؤمن ولا يبغضه إلا منافق..

وهكذا فعلنا مع الحسنين عليهما السلام.. فأبغضنا أعداءهما، وأحببنا ذكرهما، واعتبرناهما نموذجًا للمسلم الكامل الطاهر الذي من سلك سبيله نجا.. وقد كان رائدنا في ذلك

تلك الأحاديث الكثيرة التي وردت عن رسول الله ﷺ في حقهما كقوله ﷺ: (من أحب الحسن والحسين أحببته، ومن أحببته أحبه الله، ومن أحبه الله أدخله جنات النعيم، ومن أبغضهما أو بغى عليهما أبغضته ومن أبغضته أبغضه الله، ومن أبغضه الله أدخله جهنم وله عذاب مقيم)^(١)، وقوله عنهما: (اللهم! إني أحبهما فأحبهما، وأبغض من أبغضهما)^(٢)، وقال: (اللهم! إني أحبهما فأحبهما)^(٣).

وهكذا فعلنا مع جميع الأئمة الاثني عشر الذين أشار إليهم ﷺ في قوله: (الخلفاء من بعدي اثنا عشر)^(٤).. لقد بان لنا بالأدلة الكثيرة التي سأعرضها عليكم أن هؤلاء الأئمة هم أئمتنا فهم الفقهاء العلماء الربانيون المجاهدون..

(١) رواه الطبراني في الكبير.

(٢) رواه البيهقي في الشعب، والطبراني في الكبير.

(٣) رواه الترمذي، وقال: حديث حسن صحيح.

(٤) صحيح البخاري ١٠١/٩، ومسند أحمد بن حنبل ٩٠/٥، ٩٥، ودلائل النبوة ٥١٩/٦.

وهم الذين اجتمعت الأمة على مراتبهم العالية، ولم يجادل في ذلك أحد من الناس.

ابن تيمية يعادى آل البيت ويوالى أعداءهم:

حتى جاء ابن تيمية لينصب لنا من العداوة، ويكذب علينا من الكذب ما لا يزال الأجيال يتلقفونه.

ولسنا ندري سر ذلك.. ولمَ لم يتعامل معنا كما تعامل مع أصحاب مالك والشافعي وغيرهم من الأئمة، فقد كان لكل منهم خلفاؤه العشر أو الاثني عشر.. وكان يحترمهم جميعاً، بل يعتبر أنهم من السلف الصالح.

بل كان فوق ذلك هيناً لينا مع كل من عادى أهل البيت.. ألا تعرفون موقفه من البيهقية تلك الطائفة التي غلت في يزيد بن معاوية وبالشيخ عدي بن مسافر الأموي، والتي اتفق المسلمون على اعتبارها من الغلاة الذين أجمع المسلمون على خروجهم من الملة؛ لأنهم أضافوا إلى

البشر صفات الإله.

لقد عاصر ابن تيمية هذه الطائفة فكتب إليهم كتاباً استهله بكلام لا يشبه شيئاً من كلامه في مخالفته.. لقداسته لكتابه بقوله: (من أحمد بن تيمية إلى من يصل إليه هذا الكتاب من المسلمين المنتسبين إلى السنة والجماعة، والمنتمين إلى جماعة الشيخ العارف القدوة أبي البركات عدي بن مسافر الأموي، ومن نحى نحوهم، وفقهم الله لسلوك سبيله.. سلام عليكم ورحمة الله وبركاته)^(١).

انظروا إلى هذا اللين والسماحة والدعة.. انظروا إليه كيف جعلهم من المسلمين المنتسبين إلى السنة والجماعة، ودعا لهم بالتوفيق إلى سلوك السبيل، ورفع إليهم تحية الإسلام.. وليس ذلك لهم وحدهم، بل لمن نحى نحوهم أيضاً وسلك طريقتهم في الغلو!.

بينما إذا جاء إلينا - نحن الذين طبقنا وصية رسول

(١) الوصية الكبرى لابن تيمية: ٥.

الله ﷻ بلزوم آل بيته والتمسك بهم - راح يشنع علينا،
ويعلن كل أصناف العداوة لنا، بل إنه لم يكتف بذلك، بل
راح يببّح دماغنا، بل يقوم هو نفسه بذلك..

قام التيمي، وقال: لعلك تقصد الرافضة في جبل
كسروان القريب من دمشق والذين استأذن ابن تيمية نائب
السلطان على دمشق أن يجهز جيشاً، وأن يقاتل هؤلاء في
جبلهم، فأذن له وأمر بتكوين جيش لقتالهم، وصحبه في
ذلك القتال، وما زال الجيش في حصارهم وقتالهم، حتى
فتح الجبل، وأجلي أهله، وقد ذكر ابن عبد الهادي (ت -
٧٤٤هـ) أن فتح الجبل يعد من الكرامات المعدودة لشيخ
الإسلام، ذلك أن أهله من الشيعة الرافضة فتعين قتالهم^(١)،
وقد كانت هذه الواقعة من أسباب أذية ابن تيمية
واضطهاده، وسجنه فيما بعد، وقد ذكر ابن كثير (ت -
٧٧٤هـ) أن هذه الواقعة ملأت قلوب أعدائه حسداً له

(١) انظر: العقود الدرية ص ١٨٠.

وغمماً^(١).

التفت الشيعي إلى الجمع الحاضر، وقال: ها هو
صديق ابن تيمية قد أقر بما فعل ابن تيمية بنا نحن
المسالمة الممثلين عشقاً للنبي وآل بيته.. وكل ذنبنا هو
أننا لم نر ما يراه، ولم نقل بما يقول به.
قال التيمي: ولكنكم تسبون الصحابة.

قال الشيعي: نحن نفرق بين أمة الرسول ﷺ
وصحابته.. ونفرق بين دراسة التاريخ وتقديسه.. ونفرق
بين المبادئ والأشخاص.. ولذلك ترون أننا إن نبشنا عن
الحقائق لنأخذ منها العبرة، ولنبرز بها الجمال المخبأ
خلفها طعناً في الصحابة.

بأنه عليكم أيها الجمع كيف نعرف فضائل علي عليه السلام
التي وردت بها النصوص إن لم نعرف سيرته وتاريخه
ونبش في تفاصيلها.. وكيف نفعل ذلك دون أن نتعرض

(١) البداية والنهاية ٣٥/١٤.

للتاريخ ومن عاش في التاريخ..

بأنه عليكم أيها الجمع كيف نرى فضيلة الحسين عليه السلام
الذي اعتبره رسول الله صلوات الله وسلامته سيد شباب أهل الجنة إن لم
ندرس التضحيات التي قام بها ونعيشها كل حين.

بأنه عليكم أيها الجمع كيف ندرك فضيلة الحسن عليه السلام
حبيب رسول الله صلواته وسلامته سيد شباب أهل الجنة إن عظمنا
قاتله بحجة أنه من الصحابة.

ثم لم يكيل ابن تيمية بالمكايل المزدوجة، فتراه يسب
البدريين والصحابة الكبار ليحفظ ماء وجهه الطلقاء
والمناققين..

ثم إن كان يعتبر سب معاوية ضلالة، فكيف لا يعتبر
سب علي بن أبي طالب وآل بيت النبي صلواته وسلامته ضلالة مع
أن الأحاديث التي وردت في فضلهم ووجوب التعلق بهم
وتعظيمهم لا يوازها شيء.

قال التيمي: كذبت في هذا.. فابن تيمية محب لآل

البيت معظم لهم.. وقد كتبت الرسائل في بيان ذلك.. وهو وإن ظهر منه بعض القسوة والشدة عليهم، فإنما مصدره في ذلك معارفه الكثيرة وعلومه الجمّة.. فهو لم ينطلق إلا من العلم.

ابتسم الشيعي، وقال: اسمح لي قبل أن أجيبك عن هذا أن أذكر لك مقولة ذكرها ابن دقيق العيد في ابن تيمية يعتبرها أصحابك من مناقب ابن تيمية، وأنا لا أراها كذلك، لقد قال فيه: (لما اجتمعت بابن تيمية رأيت رجلاً العلوم كلها بين عينيه، يأخذ منها ما يريد، ويدع ما يريد)^(١).

هذه العبارة في الحقيقة هي أحسن تعريف بابن تيمية فهو لا ينطلق في بحثه ودراسته وتحصيله من إرادة الحقيقة، وإنما ينطلق من إرادته هو.. وهو لذلك يستعمل خلاف العلماء في الفقه والحديث والتفسير وغيره وسيلة

(١) الرد الوافر لابن ناصر الدين النمشقي ص ١١١.

لذلك.. فإن شاء أن يضع شخصاً اختار من العلم ما يضعه به، وإن شاء أن يرفعه اختار ما يرفعه به، وما أسهل على العالم بآراء الناس أن يستغل ما شاء لما شاء.

انظر - كمثل على ذلك - كيف يجادل في المسلمات، فقد اتفقت الأمة على أن علياً بن أبي طالب عليه السلام أول من أسلم لكن ابن تيمية يعبر عن هذه الحقيقة بهذه الطريقة، فيقول: (فإن الناس متنازعون في أول من أسلم، فقيل: أبو بكر أول من أسلم، فهو أسبق إسلاماً من علي، وقيل: إن علياً أسلم قبله، لكن علياً كان صغيراً وإسلام الصبي فيه نزاع بين العلماء، ولا نزاع في أن إسلام أبي بكر أكمل وأنفع، فيكون هو أكمل سبقاً بالاتفاق)^(١).

انظروا كيف استعمل النزاع لينقص من فضل علي عليه السلام، بل ليشكك في إسلامه.

وهكذا عندما يتحدث عن البضعة الطاهرة فاطمة

(١) منهاج السنة (٢٨٥/٧).

الزهراء عليها السلام ومطالبتها بحقها في (فدك) يقول: (وليس تبرئة الإنسان لفاطمة من الظن والهوى بأولى من تبرئة أبي بكر، فإن أبا بكر إمام لا يتصرف لنفسه بل للمسلمين، والمال لم يأخذه لنفسه بل للمسلمين، وفاطمة تطلب لنفسها)^(١).

انظروا كيف يهون من أمر فاطمة عليها السلام تلك التي اعتبرها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بضعة منه، يرضيها ما يرضيه، ويؤذيها ما يؤذيه، وهي مع ذلك كله سيدة نساء العالمين.

لكنه إن تحدث عن أعداء آل البيت عليهم السلام تجده يصح الأحاديث الضعيفة، ويضع الإجماعات ليخرجهم من رذائلهم وجرائمهم، حتى أنه صنف كتاباً أسماه (فضائل معاوية وفي يزيد وأنه لا يسب) مع أن السلف الذي يدعي انتسابه إليهم يذكرون أنه لا يصح في فضائل

(١) منهاج السنة (٥/٥٢٢).

معاوية حديث واحد^(١).

وعندما طلب من النسائي صاحب السنن من بعض النواصب من أهل دمشق أن يكتب في فضائل معاوية فقال: ما أعرف له فضيلة إلا: (لا أشبع الله بطنه!)^(٢).

أما ما ثبت في ذمه من كبار الصحابة وآل البيت فلا يعد ولا يحصى.. ولكن ابن تيمية يرفض كل ذلك.. بل إنه يعتبر معاوية وابنه يزيد من الخلفاء الاثني عشر الذين نص عليهم رسول الله ﷺ، بل اعتبرهم هداة مهديين.

وعندما أتى إلى قوله ﷺ: (إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي: كتاب الله، وعترتي أهل بيتي، ولن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض)^(٣)، وقوله

(١) نقل ذلك الحافظ الذهبي عن إسماعيل بن راهويه الذي كان يقرن بالإمام أحمد بن حنبل. (سير أعلام النبلاء ٣: ١٣٢).

(٢) (سير أعلام النبلاء ١٤: ١٢٥، وفيات الأعيان ١: ٧٧).

(٣) سنن الترمذي: ح ٣٧٨٨، مسند أحمد ١٧/٣، المستدرک ١٤٨/٣ وغيرها.

صلى الله عليه وآله وسلم: (إني تارك فيكم الثقلين: أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور... وأهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي)^(١). ولم يستطع أن يتملص من تصحيحه راح يتأوله ويتلاعب به ويشكك في صحته، فيقول: (الحديث الذي في مسلم إذا كان النبي قد قاله!! فليس فيه إلا الوصية باتباع الكتاب، وهو لم يأمر باتباع العترة، ولكن قال: أذكركم الله في أهل بيتي)^(٢).

لكنه إن جاء إلى ما فيه مذمة لآل البيت من طريق أعدائهم راح ينشره ويستخرج منه الفوائد الكثيرة.. ولهذا ترونه كل حين يكرر تلك القصة الموضوعة المكذوبة عن خطبة عليٍّ عليه السلام لابنة أبي جهل، كرر الكلام فيها في أكثر من موضع من كتابه منهاج السنة! مع أن القصة

(١) صحيح مسلم ح ٢٤٠٨.

(٢) منهاج السنة ٤: ٨٥.

نسجها المسور بن مخرمة، أو كذبها عليه الكرابيسي.. وكلا الرجلين ناصبيين مشهورين ببغض عليٍّ والانحراف عنه وتعظيم أعدائه وموالاتهم^(١).. فقد كان المسور بن مخرمة، لا يذكر معاوية إلا صلى عليه، وكان حليفًا للخوارج، يجتمعون عنده ويستمعون حديثه، بل كانوا ينسبون إليه فيعدونه قدوة لهم^(٢)!!

وهكذا يستعمل علمه ودجله وأحقاده ليرميها جميعًا على عليٍّ عليه السلام، ويضعه مع الطلقاء النواصب في خانة واحدة، فيقول: (عليٌّ إنما قاتل الناس على طاعته، لا على طاعة الله.. فمن قذح في معاوية بأنه كان باغيًا قال له النواصب: وعليٌّ أيضًا كان باغيًا ظالمًا.. قاتل الناس على إمارته وصال عليهم.. فمن قتل النفوس على طاعته كان مريدًا للعلو في الأرض والفساد، وهذا حال فرعون، والله

(١) شرح نهج البلاغة ٤: ٦٤.

(٢) سير أعلام النبلاء ٣: ٣٩٠ - ٣٩٣.

تعالى يقول: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ
عُلُوقًا فِي الْأَرْضِ وَلَا فِسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (القصص: ٨٣)،
فمن أراد العلو في الأرض والفساد لم يكن من أهل
السعادة في الآخرة!!^(١).

وهكذا عندما يتحدث عن علم عليٍّ عليه السلام، والذي هو
محل اتفاق من الأمة جميعًا، يقول: (ليس في الأئمة
الأربعة ولا غيرهم من أئمة الفقهاء من يرجع إلى عليٍّ
في فقهه.. فمالك أخذ علمه عن أهل المدينة، وأهل المدينة
لا يكادون يأخذون عن عليٍّ!!.. وأبو حنيفة والشافعي
وأحمد تنتهي طرقهم إلى ابن عباس، وابن عباس مجتهد
مستقل، ولا يقول بقول عليٍّ!!)^(٢).

مع أن ابن عباس يقول: (أعطي عليٍّ تسعة أعشار

(١) انظر: منهاج السنة ٢: ٢٠٢ - ٢٠٥، ٢٣٢ - ٢٣٤.

(٢) منهاج السنة ٤: ١٤٢ - ١٤٣.

العلم، وإنه لأعلمهم بالعشر الباقي)(^(١)).

وهكذا إن جاء إلى الحسين عليه السلام تجده يعتبره أدنى من يزيد ذلك الظالم الطاغية الباغي، وكمثال على ذلك قوله في خروج الحسين عليه السلام على يزيد: (هذا رأي فاسد، فإن مفسدته أعظم من مصلحته، وقلَّ من خرج على إمام ذي سلطان إلا كان ما تولد على فعله من الشر أعظم مما تولد من الخير)(^(٢)).

وهكذا في سائر آل البيت عليهم السلام.

قال النيمي: ولكنكم تقولون بعصمة الأئمة..

قال الشيعي: نحن لا نقولها من عندنا.. لقد أخبرنا الله بأنه طهرهم، ودعانا النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى الاقتداء بهم والتمسك بحبلهم، بل اعتبرهم سفينة النجاة، وما كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم ليدلنا على ضلالة.

(١) طبقات الفقهاء: ٤٢.

(٢) منهاج السنة ٢: ٢٤١.

ونحن إن جوَّزنا عليهم الخطأ سرى ذلك لكل قول
يقولونه، أو فعل يفعلونه، ومن أين لنا بعد ذلك أن نميز
بين الخطأ والصواب والهداية والضلالة..

إن دعوة النبي ﷺ للتمسك بهم هو دليلنا على
عصمتهم.. ثم ما يضيركم ذلك.. أو ليس إحسان الظن
أولى من إساءته.. وهل أتاكم من النصوص ما يعتبر
العصمة خاصة بالأنبياء.. أو لستم تتقلون في كتبكم عن
حفظ الله للصالحين والأولياء.. فلم تعاملوا هؤلاء
المطهرين كما تعاملون من ترونه من الصالحين؟.

أو لستم في تعاملكم مع ابن تيمية تتزلونه هذه المنزلة،
فتخضعون لكل أقواله، ولا تناقشونه في شيء منها؟.

أو لستم تقولون بعصمة المحدثين عندما تعتبرونهم ثقة
في كل ما يروونه؟.

أو ليس كل أتباع المذاهب يقولون بعصمة أئمة
مذهبهم، حين يقلدونهم دون أن يسألوهم عن أدلتهم؟.

ضوابط عصمة الأئمة:

إنكم جميعًا تقولون بعصمة الأئمة.. لكن إن قلنا بها نحن بناء على نصوص صحيحة وردتنا رحتم تؤلبون الناس علينا، وتستهزئون بنا مع أن أئمتنا أنفسهم يضعون لنا الضوابط الصحيحة لاتباعهم، فعن عبد الله بن أبي يعفور، قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن اختلاف الحديث يرويه من نثق به، ومنهم من لا نثق به؟ قال: (إذا ورد عليكم حديث فوجدتم له شاهدًا من كتاب الله، أو من قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وإلا فالذي جاءكم به أولى به)^(١).

وعن أيوب بن الحر قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: (كل شيء مردود إلى كتاب الله والسنة، فكل حديث لا يوافق كتاب الله فهو زخرف).

وعن أبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام قال:

(١) اليهودي، صحيح الكافي، ج ١ ص ١١، ونفس المصدر الأحاديث التالية.

(ما لم يوافق من الحديث القرآن فهو زخرف).
 وجاء رجل إلى أمير المؤمنين عليه السلام فقال: أخبرني
 عن السنة والبدعة، والجماعة والفرقة، فقال له أمير
 المؤمنين عليه السلام: (السنة ما سنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله، والبدعة
 ما أحدث من بعده، والجماعة أهل الحق وإن كانوا قليلاً،
 والفرقة أهل الباطل وإن كانوا كثيراً).
 وهكذا تجد أئمتنا عليه السلام يدعون إلى إرجاع ما ورد
 عنهم إلى كتاب الله.. فهل تجدون في علمائكم من يقول
 هذا.. أستم تضربون القرآن بالحديث؟
 هل في علمائكم من قال ما قال عليٌّ عليه السلام: (ما
 جاءتك رواية من بر أو فاجر توافق القرآن فخذ بها، وما
 جاءتك من رواية من بر أو فاجر تخالف القرآن فلا تأخذ
 بها).

أو لستم تقبلون كل من تعتبرونه ثقة حتى لو خالف
 المنقول والمعقول حتى جعلكم ذلك تشوّهون نبيكم

وتشوهون دينكم.

أو لم تقبلوا حديث السحر وأن رسول الله ﷺ سحر،
وتصرخون بها كل حين في كل المجمع مع أن الله تعالى
نزّهه عن ذلك وعصمه عنه، بل نزّه كل الأنبياء وأخبر
بعصمته عنه.

عصمة الرواة وعصمة الرسول:

اسمعوا أيها الجمع ما يقول ابن القيم، وهو تلميذ ابن
تيمية النجيب لتعرفوا كيف يقول هؤلاء بعصمة الرواة
حتى لو كانت على حساب عصمة رسول الله ﷺ ..
سأقرأ لكم النص كما ورد، وأترك لعقولكم التعليق،
يقول ابن القيم في التفسير القيم بعد أن ذكر الحديث الذي
ينص على سحر رسول الله ﷺ: (وهذا الحديث ثابت
عند أهل العلم بالحديث متلقى بالقبول بينهم لا يختلفون في
صحته، وقد اعتاص على كثير من أهل الكلام وغيرهم
وأنكروه أشد الإنكار وقابلوه بالتكذيب، وصنف بعضهم

فيه مصنفًا مفردًا حمل فيه على هشام وكان غاية ما أحسن القول فيه أن قال غلط واشتبته عليه الأمر ولم يكن من هذا شيء؛ قال: لأن النبي لا يجوز أن يسحر فإنه يكون تصديقًا لقول الكفار: ﴿إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا﴾ (الإسراء: ٤٧) قالوا وهذا كما قال فرعون لموسى: ﴿إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا مُوسَى مَسْحُورًا﴾ (الإسراء: ١٠١)، وقال قوم صالح له: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ﴾ (الشعراء: ١٥٣)، وقال قوم شعيب له: إنما أنت من المسحرين - قالوا فالأنبياء لا يجوز عليهم أن يسحروا، فإن ذلك ينافي حماية الله لهم وعصمتهم من الشياطين، وهذا الذي قاله هؤلاء مردود عند أهل العلم، فإن هشامًا من أوثق الناس وأعلمهم ولم يقدر فيه أحد من الأئمة بما يوجب رد حديثه، فما للمتكلمين وما لهذا الشأن، وقد رواه غير هشام عن عائشة، وقد اتفق أصحاب الصحيحين على تصحيح هذا الحديث ولم يتكلم فيه أحد من أهل الحديث

بكلمة واحدة، والقصة مشهورة عند أهل التفسير والسنن والحديث والتاريخ والفقهاء، وهؤلاء أعلم بأحوال رسول الله وأيامه من المتكلمين. قالوا: والسحر الذي أصابه كان مرضاً من الأمراض عارضاً شفاه الله منه ولا نقص في ذلك ولا عيب بوجه ما، فإن المرض يجوز على الأنبياء، وكذلك الإغماء فقد أغمي عليه في مرضه، ووقع حين انفكت قدمه وجحش شقه، رواه البخاري ومسلم، وهذا من البلاء الذي يزيده الله به رفعة في درجاته ونيل كرامته، وأشد الناس بلاء الأنبياء فابتلوا من أمهم بما ابتلوا به من القتل والضرب والشتم والحبس، فليس ببدع أن يبتلى النبي من بعض أعدائه بنوع من السحر كما ابتلي بالذي رماه فشجه، وابتلي بالذي ألقى على ظهره السلا وهو ساجد وغير ذلك، فلا نقص عليهم ولا عار في ذلك، بل هذا من كمالهم وعلو درجاتهم عند الله).

هل سمعتم أيها الناس ما يقول هؤلاء.. وكيف لنا أو

لأي عاقل أن يصدق نبياً مسحوراً.. يرى أنه فعل الشيء
مع أنه لم يفعله، أو قال الشيء مع أنه لم يقفه..
لقد قالوا بعدم عصمة النبي صلى الله عليه وآله وسلم من السحر مخالفين
القرآن لأجل حفظ عصمة هشام أو عائشة رواة الحديث..
قارنوا بين هذا وبين مواقفنا من أئمتنا.. أينما يقول
بالعصمة هل نحن أم هم؟.

ولهذا لا تجدون عندنا كتباً نسلم لها بالصحة المطلقة،
فكل ما عندنا عرضة للاجتهد، فأبي مجتهد رأى في أي
نص من النصوص مخالفة للقرآن الكريم أو للمتواتر من
الحديث رماه، وجاز له أن لا يأخذ به.. فهل عندكم معشر
التيمييين من يقول بهذا؟.

أم أنكم لأجل الحديث الواحد تخالفون التاريخ
والجغرافيا والعقل والنقل.. وكل شيء.

وليتكم تفعلون هذا مع القضايا البسيطة والجزئية والتي
قد لا يكون فيها أي ضرر كبير على الأمة جميعاً.. لا..

إنكم تفعلون هذا في كل القضايا الكبرى ابتداء من العقائد إلى الحياة جميعاً..

سكت الشيعة قليلاً، ثم نظر إلى بعض المسيحيين ممن كانوا حاضرين في ذلك المجلس، وقال: ألم تعلموا ما ورد في القرآن الكريم من كيفية التعامل مع أهل الكتاب، ومن عدم الإكراه في الدين، ومن أن وظيفة الرسول والأمة بعده هي البلاغ، وتبيان الدين بالحكمة والموعظة الحسنة، والجدال بالتي هي أحسن.. أليست هذه حقائق مقررة في القرآن؟.

من كان لديه مخالفة لها.. فلينطق..

الرواة المعصومون:

سكت الجميع، فقال: ولكنكم - وخصوصاً معشر التيمييين والوهابييين - رميتم بكل تلك النصوص المعصومة المتفق عليها عرض الحائط، ورحتم تستدلون بالحديث؛ لأن الرواة عندكم ثقة معصومون حتى لو

خالف ما جاءوا به القرآن الكريم.

اسمعوا - معشر الحاضرين - لما ذكره الرواة من أن رسول الله ﷺ قال: (بعثت بالسيف بين يدي الساعة حتى يعبد الله وحده لا شريك له، وجعل رزقي تحت ظل رمحي، وجعل الذلة والصغار على من خالف أمري، ومن تشبه بقوم فهو منهم)^(١).

لو كان هذا الحديث عندنا - أشياخ آل محمد ﷺ - لرمينا به عرض الحائط؛ لأنه لا يتفق مع ما جاء في القرآن.. فالقرآن عندنا هو الحكم الذي يلجأ إليه.. لكنكم - ولقولكم بعصمة الرواة والعلماء والفقهاء - لم تترددوا في رمي كل القرآن من أجل هذا الحديث حتى قال بعضكم تعليقا على الحديث: (أرسل محمد ﷺ بأربعة سيوف: سيف على المشركين من العرب حتى يسلموا.. وسيف

(١) أحمد (٥١١٤، ٥١١٥، ٥٦٦٧)، والخطيب في الفقيه والمتفقه (٧٣/٢)، وابن عساکر (١/٩٦/١٩).

على المشركين من غيرهم حتى يسلموا أو يسترقوا أو يفادوا بهم.. وسيف على أهل القبلة من أهل البغي.. وسيف على أهل الكتاب حتى يعطوا الجزية).

ولم تكنفوا بهذا، بل رحتم تنقلون عن الخلفاء والصحابة الذين ترون عصمتهم ما يشوه الإسلام..

لقد كتب ابن تيمية يقول في كتابه الذي أراد به أن يميز المسلمين عن غيرهم في كل شيء حتى في اللباس والمظهر في فصل تحت عنوان (الإجماع على الأمر بمخالفة الكفار والنهي عن مشابهتهم)، جاء فيه قوله: .. من ذلك: أن أمير المؤمنين عمر في الصحابة، ثم عامة الأئمة بعده، وسائر الفقهاء، جعلوا في الشروط المشروطة على أهل الذمة من النصارى وغيرهم، فيما شرطوه على أنفسهم: (أن نوقر المسلمين، ونقوم لهم من مجالسنا، إذا أرادوا الجلوس، ولا نتشبه بهم في شيء من لباسهم قلنسوة، أو عمامة، أو نعلين، أو فرق شعر، ولا نتكلم

بكلامهم، ولا نكتتى بكناهم، ولا نركب السروج، ولا نتقلد
السيوف، ولا نتخذ شيئاً من السلاح، ولا نحمله، ولا ننقش
خواتيمنا بالعربية، ولا نبيع الخمر، وأن نجز مقادير
رعوسنا، وأن نلزم زينا حيثما كان، وأن نشد الزنانير
على أوساطنا، وأن لا نظهر الصليب على كنائسنا، ولا
نظهر صليباً ولا كتباً، في شيء من طرق المسلمين، ولا
أسواقهم، ولا نضرب بنواقيسنا في كنائسنا إلا ضرباً خفياً
ولا نرفع أصواتنا مع موتانا، ولا نظهر النيران معهم في
شيء من طرق المسلمين).

وقد علق ابن تيمية على هذا النص بقوله: (رواه حرب
بإسناد جيد)، انظروا.. لأجل عصمة الإسناد الجيد راح
يبنى ابن تيمية أحكامه الجائرة التي تشوه جمال سماحة
الإسلام، ونبي الإسلام، ولا يعنيه بعد ذلك أن يضرب
بالقرآن الكريم جميعاً عرض الحائط.

ولم يكتف بهذا، بل راح ينقل عن غيره بالأسانيد

الجيدة ما يشوه الدين جميعًا، حتى الشخصية التي يتصور المسلمون أنها ملأت عهدا عدلاً.

انظروا ماذا يقول عن عهد عمر بن عبد العزيز:
(وروى أيضاً أبو الشيخ بإسناده، عن محمد بن قيس
وسعد بن عبد الرحمن بن حبان، قالوا: دخل ناس من بني
تغلب على عمر بن عبد العزيز وعليهم العمائم كهيئة
العرب، فقالوا: يا أمير المؤمنين ألقنا بالعرب، قال: فمن
أنتم؟ قالوا: نحن بنو تغلب، قال: أولستم من أوسط
العرب؟ قالوا: نحن نصارى، قال: عليّ بجلم، فأخذ من
نواصيهم وألقى العمائم وشق رداء كل واحد شبراً يحترم
به، وقال: لا تركبوا السروج واركبوا على الأكف ودلوا
أرجلكم من شق واحد).

روايات أهل البيت:

يا قوم.. هل هذا هو الدين؟. قارنوا بين هذا.. وبين
التعاليم التي نص عليها آل البيت الكريم، والتي تتناسق

تمامًا مع ما ورد في القرآن الكريم، لقد قال الإمام عليّ
عليه السلام في عهده لمالك الأثتر لما ولّاه مصر: (... وأشعر
قلبك الرحمة للرعية والمحبة لهم، واللفظ بهم، ولا
تكونن عليهم سبُعًا ضارياً تغتتم أكلهم، فإنهم صنفان، إما
أخ لك في الدين، أو نظير لك في الخلق، يفرط بهم الزلل،
وتعرض لهم العلل، ويؤتي على أيديهم في العمد والخطأ.
فاعطهم من عفوك وصفحك مثل الذي تحب أن يعطيك
الله من عفوه وصفحه).

فأيهما أقوم قِيلاً، وأقرب عصمة، هل ما تروونه
بأسانيدكم الجياد.. أم ما نرويه عن إمامنا الذي شغفنا
بحبه.. والذي جنبنا الله بالتمسك به من أن نظلم أحداً من
الناس من أي دين أو مذهب.

قصة الحمار المعصوم:

ساد الجمع سكون عميق، قطعه التيمي بفقهة عالية،
قال بعدها: دعنا من كل هذا.. وقص علينا قصة الحمار

يعفور.. أليس الحمار يعفور معصومًا عندكم؟.
ابتسم الشيعي، وقال: هذا ما تتقنونه.. مع أن هذه
القصة مروية في كتبكم كما هي مروية في كتبنا.. ونحن
لا نقبلها كما أنكم لا تقبلونها.. ثم ما الضرر فينا لو
قبلناها، فأيهما أعظم خطرًا، أن نقبل حمارًا يتكلم معجزة
لنبي، أم اعتقاد سحر رسول الله ﷺ، وظلم من أمرنا
ببرهم والإحسان إليهم.. وأشياء كثيرة يستحيي العفيف من
ذكرها.

العدو الثالث: أهل الكتاب

في اليوم الثالث تقدم رجل يرتدي لباس أهل الكتاب،
وقال: دعوني اليوم أتحدث أنا عن عداوة ابن تيمية لنا..
نحن الذين قدر الله أن نعيش بين المسلمين لنكون رمزًا
للتسامح والأخوة والتعايش.. لكن ابن تيمية ذلك المجرم
العنيد قلب الحياة، وقلب الموازين، وملاً الصدور ضغائن
وأحقادًا.

قال التيمي: ليس ابن تيمية هو الذي عاداكم، بل
القرآن هو الذي عاداكم؟.

قال الكتابي: حاشا القرآن من ذلك.. القرآن هو الذي
حثَّ على مودتنا، ففيه:

(١) الحث على برِّنا ومودتنا: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ
الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِّنْ دِيَارِكُمْ أَن
تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ * إِنَّمَا
يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّنْ
دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ
فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (الممتحنة: ٨، ٩).

(٢) وهو الذي حث على جدالنا بالتي هي أحسن:
﴿وَلَا تَجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ
ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأَنْزَلَ إِلَيْكُمُ
وَالِهِنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ (العنكبوت: ٤٦).

(٣) وهو الذي أقر بوجود الصالحين فينا: ﴿لَيْسُوا

سَوَاءٌ مَنْ أَهَلَ الْكِتَابِ أُمَّةً قَائِمَةً يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ
وَهُمْ يَسْجُدُونَ * يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ
بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ
وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ * وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ
وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ ﴿آل عمران: ١١٣ - ١١٥﴾.

قال التيمي: وماذا فعل ابن تيمية؟

قال الكتابي: لا حاجة لي أن أعيد ما ذكره أخي
الشيعي، فقد بين ذلك التمييز العنصري الذي طرحه ابن
تيمية وانتصر له.. فهو مما شوّه عدالة الإسلام وسماحته.

ابن تيمية

يعارض القرآن ويأمر بهدم الكنائس:

ولكني سأحدثكم بدلاً عن ذلك عن فتوى خطيرة لا
زالت الوهابية وأذناها تتبناها، إنها فتواه بتدمير كنائسنا،
تلك التي أمر القرآن الكريم بالحفاظ عليها، والجهاد في
سبيل الحفاظ عليها، أليس في القرآن الكريم: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ

اللَّهُ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَّهْدَمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ
وَمَسَاجِدٌ يُذَكَّرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ
يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ (الحج: ٤٠).

لكن ابن تيمية ضرب بهذا النص المقدس عرض
الحائط، وضرب بأمثاله من النصوص المحمدية التي
تدعو إلى حفظ المعابد عرض الحائط، وراح بدل ذلك
يفتي بحرمة بناء الكنائس، وتهديم ما بني منها.

وله في ذلك فتاوى كثيرة، أكتفي هنا بذكر ملخص لها
ذكره تلميذه النجيب ابن القيم، وهو (أن كل كنيسة في
مصر والقاهرة والكوفة والبصرة وواسط وبغداد ونحوها
من الأمصار التي مصرّها المسلمون بأرض العنوة فإنه
يجب إزالتها إما بالهدم أو غيره، بحيث لا يبقى لهم معبد
في مصر مصرّه المسلمون بأرض العنوة، وسواء كانت
تلك المعابد قديمة قبل الفتح أو محدثة؛ لأن القديم منها
يجوز أخذه ويجب عند المفسدة..

فلا يجوز للمسلمين أن يمكنوا أن يكون بمبادئ الإسلام قبلتان إلا لضرورة كالعهد القديم، لا سيما وهذه الكنائس التي بهذه الأمصار محدثة يظهر حدوثها بدلائل متعددة والمحدث يهدم باتفاق الأئمة..

وأما الكنائس التي بالصعيد وبر الشام ونحوها من أرض العنوة فما كان منها محدثاً وجب هدمه، وإذا اشتبه المحدث بالقديم وجب هدمهما جميعاً؛ لأن هدم المحدث واجب وهدم القديم جائز، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب

وما كان منها قديماً فإنه يجوز هدمه ويجوز إقراره بأيديهم فينظر الإمام في المصلحة فإن كانوا قد قتلوا والكنائس كثيرة أخذ منهم أكثرها. وكذلك ما كان على المسلمين فيه مضرة فإنه يؤخذ أيضاً، وما احتاج المسلمون إلى أخذه أخذ أيضاً، وأما إذا كانوا كثيرين في قرية ولهم كنيسة قديمة لا حاجة إلى أخذها ولا مصلحة

فيه فالذي ينبغي تركها..

وأما ما كان لهم بصلح قبل الفتح مثل ما في داخل مدينة دمشق ونحوها فلا يجوز أخذه ما داموا موفين بالعهد إلا بمعاوضة أو طيب أنفسهم كما فعل المسلمون بجامع دمشق لما بنوه^(١).

وبناء على هذا قسّم الكنائس إلى ثلاثة أقسام: (منها ما لا يجوز هدمه، ومنها ما يجب هدمه كالتي في القاهرة مصر والمحدثات كلها.. ومنها ما يفعل المسلمون فيه الأصلح كالتي في الصعيد وأرض الشام فما كان قديماً على ما بيناه).

ثم خاطب أولي الأمر من الوهابية وآل سعود والقاعدة والجماعات الجهادية والإخوان وكل من يرى في ابن تيمية مصدرًا من المصادر بقوله: (فالواجب على ولي الأمر فعل ما أمره الله به وما هو أصلح للمسلمين من

(١) انظر: أحكام أهل الذمة ج ٢ / ٦٧٧ : ٦٨٦.

إعزاز دين الله وقمع أعدائه وإتمام ما فعله الصحابة من إلزامهم بالشروط عليهم ومنعهم من الولايات في جميع أرض الإسلام، لا يلتفت في ذلك إلى مرجف أو مخذل يقول إن لنا عندهم مساجد وأسرى نخاف عليهم فإن الله تعالى يقول: ﴿وَلْيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ (الحج: ٤٠) وإذا كان نوروز في مملكة التتار قد هدم عامة الكنائس على رغم أنف أعداء الله فحزب الله المنصور وجنده الموعود بالنصر إلى قيام الساعة أولى بذلك وأحق، فإن النبي ﷺ أخبر أنهم لا يزالون ظاهرين إلى يوم القيامة^(١).

بعد هذه النصوص - أيها السادة - كيف تطلبون منا أن نهدأ أو نقر لنا عين أو نرتاح في وطن يرانا أبناءه غرباء عنهم.. يحتقروننا، ويضيقون علينا، ويطلبون منا أن نقص من شعورنا ما لا رغبة في قصه، ونلبس من

(١) انظر: أحكام أهل الذمة ج ٢ / ٦٧٧ : ٦٨٦.

الثياب ما لا رغبة في لباسه.. وفوق ذلك يطلبون منا أن
نهمس بقراءة أناجيلنا، وأن نكف عن بناء الكنائس في
أرضنا..

أي دين يقول هذا؟.. وأي نبي ينزل عليه الوحي من
السماء بهذا؟

ألا ترون أن ابن تيمية وأتباع ابن تيمية يجرؤونا إلى
المواجهة جرأاً؟

وبقي الكتابي يومه ذلك يحدثنا عن جرائم ابن تيمية في
حق أهل الكتاب، وما انبنى عليها بعد ذلك من إرهاب،
وقد أحضر معه من الوثائق ما لم نستطع دفعه، وما جعلنا
أو جعل الكثير منا يقر بأن ما فعله ابن تيمية بأهل الكتاب
ينسخ سماحة الإسلام وعدالته ودعوته.. بل يجعل من
آراء ابن تيمية في هذا المجال ديناً قائماً بذاته لا علاقة له
بالإسلام، أو سماحة الإسلام.

العدو الرابع: الأشاعرة

بعد أن انتهى من حديثه قام رجل تبدو عليها سيما العلماء، وقال: لن أطيل عليكم.. فأنا حارس على ثغر من ثغور الإسلام يسمى التوحيد والعقيدة.. وقد اصطلح الناس على تسميتنا علماء الكلام.. وأنا خصوصاً من فرقة منهم تنتشر في جميع الأرض يطلق عليها الأشاعرة.. منها العلماء والباحثون الكبار..

لا أزعم أننا معصومون في كل ما طرحناه، إلا في شيء واحد نحسب أن الله قد عصمنا فيه.. أتدرون ما هو؟

سكت الجميع، فقال: إنه شيء واحد.. هو بغضنا لابن تيمية وأذئاب ابن تيمية.

ونحن لا نبغضه أو نعاديه لأجل أنفسنا، وإن كانت نفوسنا لدينا عزيزة، وإنما لأجل أنه يلجأ إلى كل ما بنيناه ليهدمه غير مبال أن يهدم معه الإسلام جميعاً.. ولذلك من

السهل على كل من يريد أن يهدم الإسلام وعقائد الإسلام أن يلجأ إلى مقولات هذا الرجل ليرى فيها كيف تتأسس العقائد، وكيف يتحول جمال العقائد الإسلامية إلى خرافات وأساطير دونها خرافات اليونان وأساطيره.

قبل أن أذكر لكم عداوته لنا أذكر لكم عداوته لله..
قام التيمي مغضباً، وقال: ماذا تقول أيها الرجل.. لقد عاش ابن تيمية حياته جميعاً داعياً إلى الله.. فكيف يكون عدواً لله؟

ابتسم المتكلم، وقال: لقد اعتبر القرآن الكريم أساس التعرف على الله هو تنزيهه وتقديسه وتعظيمه.. لكن ابن تيمية أبى ذلك فاعتبر الله جرماً من الأجرام.. وجسماً من الأجسام.. له جميع مواصفات الأجسام من تركيب وحيز وحدود وثقل وغير ذلك.. ولم يكتف بما ورد في القرآن أو في السنة الصحيحة، بل راح إلى اليهود ليأخذ منهم عقيدة التجسيم والتشبيه..

نهض التيمي مغضبًا، وقال: كف عن هذا لا أبًا لك..
فابن تيمية هو أبو التنزيه، فكيف يكون مجسمًا أو مشبهًا.
ابتسم المتكلم، وأخرج كتابًا من محفظته، ثم قال: هذا
كتاب لابن تيمية، وهو مطبوع في بلد التوحيد
(السعودية)، وفي نقطة مركز التوحيد (الرياض) عنوانه
(بيان تلبيس الجهمية) اسمعوا ماذا يقول فيه - وهو ينص
على إثبات الكيفية التي تستلزم الكمية والشكل، وينسب
ذلك إلى السلف كاذبًا عليهم -: (.. وأما قوله: (الكيفية
تقتضي الكمية والشكل)، فإنه إن أراد أنها تستلزم ذلك
فمعلوم أن الذين أثبتوا الكيفية إنما أرادوا الصفات التي
تخصه كما تقدم، وإذا كان هذا مستلزمًا للكمية فهو الذي
يذكره المنازعون أنه ما من موصوف بصفة إلا وله قدر
يخصه، وأكثر أهل الحديث والسنة من أصحاب الإمام
أحمد رحمه الله وغيرهم لا ينفون ثبوت الكيفية في نفس
الأمر بل يقولون لا نعلم الكيفية.. وهو موافق لقول السلف

والأئمة كما قالوا لا يعلم كيف هو إلا هو، وكما قال مالك: الاستواء معلوم والكيف مجهول وأمثال هذا كثير في كلامهم، ومنهم من ينفي ذلك ويقول لا ماهية له فتجري في مقال، ولا كيف فيخطر ببال، وهذا قول ابن عقيل وغيره، وهذا موافق لقول نفاة الصفات.. ومعلوم أن الموجود يُنظر في نفسه وفي صفته وفي قدره، وإن كان اسم الصفة يتناول قدره ويستلزم ذاته أيضاً، فإذا علم بصريح العقل أنه لا بد له من وجود خاص أو حقيقة يتميز بها ولا بد له من صفات تختص به لا يشركه فيها أحد فيقال وكذلك قدره^(١).

أخرج كتاباً آخر عنوانه (الرد على الجهمية)، ثم راح يقرأ: (أخرج الدارمي بسنده عن عطاء بن يسار أنه قال: أتى رجل كعباً وهو في نفر. فقال يا أبا إسحاق حدثني عن الجبار؟ فأعظم القوم قوله. فقال كعب: دعوا الرجل

(١) بيان تلبيس الجهمية ١/٣٤٧.

فإن كان جاهلاً تعلم وإن كان عالماً ازداد علماً. ثم قال كعب: أخبرك أن الله خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن. ثم جعل ما بين كل سماءين كما بين السماء الدنيا والأرض، وكتفهن مثل ذلك. ثم رفع العرش فاستوى عليه. فما في السموات سماء إلا لها أطيظ كأطيظ الرجل العلا في أول ما يرتحل من ثقل الجبار فوقهن).. وساق بعده أحاديث أخرى ثم قال: (والأحاديث عن رسول الله ﷺ وعن أصحابه والتابعين ومن بعدهم في هذا أكثر من أن يحصيها كتابنا هذا غير أننا قد اختصرنا من ذلك ما يستدل به أولو الألباب)^(١).

أغلق الكتاب، ثم قال: الأمثلة على هذا أكثر من أن تحصى، ومن شاء منكم أن يحصيها له، فليحضر مجالس العلم ليرى الفرق بين عقيدة التنزيه والتعظيم التي يؤمن بها جميع المسلمين من شيعة ومعتزلة وأشاعرة وماتريديّة

(١) الرد على الجهمية ٢٧٩.

وصوفية وزيدية وغيرهم وبين عقيدة هذا الرجل وأذنايه.
فهل ترونا بعد ذلك نسكت عن عداوته أو عن إعلان
بغضنا له؟.

سكت الجمع، فقال: ولهذا أعترف أمامكم بأننا كنا
سبباً في سجنه، ولم نندم على ذلك، فالفتنة التي أحدثها لا
تقل عن فتنة اللصوص والمجرمين والمحاربين..
قال التيمي: دعنا من الحديث عن الله.. فالله ليس ملكاً
لأحد.. وحدثنا عن عداوته لكم.

نظر المتكلم إلى التيمي، وقال: هل ترضى يا أخي أن
ترمى بالشذوذ والتخنث؟.

قال التيمي: كيف أرضى بذلك، ومن يرضى بذلك؟.
قال المتكلم: فقد كان ابن تيمية يرمينا بذلك، ويسمينا
بالإناث والمخانيث وأعداء السنة وغير ذلك كثير:
لقد قال في الفتاوى الكبرى عنا: (هذا حكاية عبر بها
عن القرآن، والله تكلم مرة ولا يتكلم بعد ذلك، ثم قالوا:

غير مخلوق، ومن قال مخلوق فهو كافر، وهذا من فخوخهم يصطادون به قلوب عوام أهل السنة، وإنما اعتقادهم أن القرآن غير موجود لفظته الجهمية الذكور بمرة والأشعرية الإناث بعشر مرات^(١).

وقال في مجموع الفتاوى: (ومن رزقه الله معرفة ما جاءت به الرسل وبصرًا نافذًا وعرف حقيقة مأخذ هؤلاء علم قطعًا أنهم يلحدون في أسمائه وآياته، وأنهم كذبوا بالرسول وبالكتاب وبما أرسل به رسوله؛ ولهذا كانوا يقولون: إن البدع مشتقة من الكفر وآيلة إليه، ويقولون: إن المعتزلة مخانيث الفلاسفة والأشعرية مخانيث المعتزلة، وكان يحيى بن عمار يقول: المعتزلة الجهمية الذكور والأشعرية الجهمية الإناث، ومرادهم الأشعرية الذين ينفون الصفات الخيرية، وأما من قال منهم بكتاب "الإبانة" الذي صنفه الأشعري في آخر عمره ولم يُظهر

(١) الفتاوى الكبرى (٥/٣٣٠).

مقالة تناقض ذلك فهذا يعد من أهل السنة لكن مجرد الانتساب إلى الأشعرى بدعة^(١).

وقال في موضع آخر من مجموع الفتاوى: (فالمعتزلة فى الصفات مخانيث الجهمية، وأما الكلابية، فيثبتون الصفات فى الجملة، وكذلك الأشعريون، ولكنهم - كما قال الشيخ أبو إسماعيل الأنصارى - : الجهمية الإناث، وهم مخانيث المعتزلة. ومن الناس من يقول: المعتزلة مخانيث الفلاسفة؛ لأنه لم يعلم أن جهماً سبقهم إلى هذا الأصل، أو لأنهم مخانيثهم من بعض الوجوه)^(٢).

أتعلمون ما مراده بالمخانيث؟.. لقد ذكر ذلك فى كتاب الاستقامة، فقال: (وأحدث بعد أولئك أيضاً الاستماع من المخانيث المعروفين بالغناء لأهل الفسوق والزنا وربما استمعوه من الصبيان المُرْدان أو من النسوان الملاح

(١) مجموع الفتاوى (٦/٣٥٩).

(٢) مجموع الفتاوى (٨/٢٢٧).

كما يفعل أهل الدساكر والمواخير، وقد يجمعون في السماع أنواع الفساق والفجار^(١).

بعد أن انتهى المتكلم من حديثه تحدث الكثير من العلماء في مختلف المجالات، وكلهم شكى ما حصل له بسبب ابن تيمية، وقد كانت أحاديثهم من الطول بحيث لا يسعها هذا المجلس، ولعله إن قدر الله لنا زمنًا أطول فسأحدثك عن أشياء أخرى تدرك بها سر عداوة الكل لهذا الرجل الذي لم يترك أحدًا إلا سبّه وآذاه.

انقسام أتباع ابن تيمية:

قلت: فما كانت نهاية تلك الجلسات عسى أن أصحابك قد توقفوا عن صحبة ابن تيمية وصدافته.

قال: لقد انقسموا إلى فريقين: أما الفريق الأول، فقد ظل مصرًّا على صداقته، وإن عادى الكل، وكان من

(١) كتاب الاستقامة (٣٠٦/١).

بينهم ذلك الذي يجادل كثيرًا، وقد عرفت من خلال حوار جرى بيني وبينه أنه ليس له من العلم إلا ما ذكره ابن تيمية، وأنه يخشى إن عادى ابن تيمية أن تذهب علومه جميعًا.

وأما الفريق الثاني، فقد حصل له ما حصل للذهبي.

قلت: وما حصل للذهبي؟.

قال: لقد كان يحسن الظن بابن تيمية، ويمتلئ له حبًا، ويكثر من الثناء عليه، لكنه بعد أن اكتشف حقيقته كتب وصية طويلة، مما جاء فيها قوله مخاطبًا ابن تيمية: (إلى كم ترى القذاة في عين أخيك وتنسى الجذع في عينك!). إلى كم تمدح نفسك وشقاشقك وعباراتك وتذم العلماء وتتبع عورات الناس مع علمك بنهي الرسول صلى الله عليه وآله وسلم (لا تذكروا موتاكم إلا بخير، فإنهم قد أفضوا إلى ما قدموا) بلى أعرف أنك تقول لي لتتصر نفسك:

إنما الوقیعة فی هؤلاء الذین ما شموا رائحة الإسلام
ولا عرفوا ما جاء به محمد صلی اللہ علیہ و آلہ وسلم وهو جهاد.

بلی والله عرفوا خیراً کثیراً مما إذا عمل به العبد فقد
فاز و جهلوا شیئاً کثیراً مما لا یعنیهم، ومن حسن إسلام
المرء ترکه ما لا یعنیه.

یا رجل بالله عليك كفف عنا فإنك محجاج عليم اللسان
لا تقر ولا تتام. إياكم والغلوطات في الدين كره نبيك
صلی اللہ علیہ و آلہ وسلم المسائل وعابها ونهى عن كثرة السؤال وقال:

(إن أخوف ما أخاف على أمتي كل منافق عليم
اللسان) وكثرة الكلام بغير زلل تقسي القلوب إذا كان في
الحلال والحرام، فكيف إذا كان في عبارات اليونانية
والفلاسفة وتلك الكفریات التي تعمى القلوب.

والله قد صرنا ضحكة في الوجود فإلى كم تنبش دقائق
الكفریات الفلسفية لنرد بعقولنا، یا رجل قد بلعت (سموم)

الفلاسفة وتصنيفاتهم مرات. وكثرة استعمال السموم يدمن عليه الجسم وتكمن والله في البدن، واشوقاه إلى مجلس فيه تلاوة بتدبر وخشية بتذكر وصمت بتفكر.

وأها لمجلس يذكر فيه الأبرار فعند ذكر الصالحين تنزل الرحمة. بلى عند ذكر الصالحين يذكرون بالازدراء واللعنة. كان سيف الحجاج ولسان ابن حزم شقيقين فواخيتهما بالله، خلونا من ذكر بدعة الخميس وأكل الحبوب وجدوا في ذكر بدع كنا نعدها من أساس الضلال قد صارت هي محض السنة وأساس التوحيد ومن لم يعرفها فهو كافر أو حمار، ومن لم يكفر فهو أكثر من فرعون وتعد النصارى مثلنا، والله في القلوب شكرك إن سلم لك إيمانك بالشهادتين فأنت سعيد.

يا خيبة من اتبعك فإنه معرض للزندقة والانحلال لا سيما إذا كان قليل العلم والدين باطولياً شهوانياً لكنه ينفحك

ويجاهد عندك بيده ولسانه وفي الباطن عدو لك بحاله
وقلبه، فهل معظم أتباعك إلا قعيد مربوط خفيف العقل، أو
عامي كذاب بليد الذهن، أو غريب واجم قوي المكر، أو
ناشف صالح عديم الفهم، فإن لم تصدقني ففتشهم وزنهم
بالعدل، يا مسلم أقدم حمار شهوتك لمدح نفسك.

إلى كم تصادقها وتعادي الأختيار.

إلى كم تصادقها وتزدرى الأبرار.

إلى كم تعظمها وتصغر العباد.

إلى متى تخاللها وتمقت الزهاد.

إلى متى تمدح كلامك بكيفية لا تمدح - والله - بها

أحاديث الصحيحين.

يا ليت أحاديث الصحيحين تسلم منك بل في كل وقت

تغير عليها بالتضعيف والإهدار أو بالتأويل والإنكار، أما

أن لك أن ترعوى؟

أما حان لك أن تتوب وتنتيب؟

أما أنت في عشر السبعين وقد قرب الرحيل.

بلى - والله - ما أذكر أنك تذكر الموت بل تزدري
بمن يذكر الموت، فما أظنك تقبل على قولي ولا تصغي
إلى وعظي بل لك همّة كبيرة في نقض هذه الورقة
بمجلدات وتقطع لي أذنان الكلام ولا تزال تنتصر حتى
أقول: وألبتة سكت.

فإذا كان هذا حالك عندي وأنا الشفوق المحب الواد
فكيف حالك عند أعدائك.

وأعدائك - والله - فيهم صلحاء وعقلاء وفضلاء،
كما أن أوليائك فيهم فجرة وكذبة وجهلة وبطلنة وعور
وبقر.

قد رضيت منك بأن تسبني علانية وتنتفع بمقالتي سرّاً
(فرحم الله امرءاً أهدى إليّ عيوبي) فإني كثير العيوب
غزير الذنوب.

قلت: هذا عن أصحابك.. فما عنك؟.

قال: لقد شاء الله أن أستمع مع الوهابية ولو أن قلبي
كان نافرًا منهم.. وما ذلك إلا لأعرف الشر من جميع
أبوابه.. فلا يعرف الخير حق المعرفة من لا يعرف الشر
حق المعرفة...

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

فهرس الكتاب

الصفحة	الموضوع
٣	معاوية.. والصحية المضخمة
١٨	القرضاوي.. وإسلام الفتنة
٣٨	القحطاني.. وسنة الحقد
٤٦	ابن تيمية.. وأعداؤه
٥٥	العدو الأول: الصوفية
٧٤	العدو الثاني: الشيعة
١٠٥	العدو الثالث: أهل الكتاب
١١٣	العدو الرابع: الأشاعرة
١٢٨	فهرس الكتاب